

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES
(معهد الدوحة)



www.dohainstitute.org

دراسة

سورية وتركيا: "نقطة تحوّل" أم "رهان تاريخي"؟

الدكتور عقيل محفوض

سلسلة (دراسات وأوراق بحثية)

سورية وتركيا: "نقطة تحوّل" أم "رهان تاريخي"؟.....	
مقدمة.....	١
أولاً- سورية وتركيا: هل هي "نقطة تحوّل"؟	٩
ثانياً- سورية وتركيا: هل هو "رهان تاريخي"؟	٢٠
ثالثاً- محدّدات الموقف التركيّ من الأزمة السوريّة	٢٧
رابعاً- التجلّيات العامّة لموقف تركيا تجاه الأحداث في سورية	٤٣
خامساً- تركيا والمعارضة السوريّة	٥٣
سادساً- المقولات التركيّة في الموقف من الأزمة السوريّة.....	٥٧
سابعاً- السيناريوهات المحتملة للأزمة السوريّة (من منظور تركيا).....	٦٦
ثامناً- استخلاصات واستنتاجات.....	٧١
خاتمة.....	٧٤

مقدمة

تُشكّل العلاقات السوريّة - التركيّة ظاهرة إقليميّة ودوليّة تستقطب اهتمامًا سياسيًا وإعلاميًا نشطًا نسبيًا، إلا أنّ التناول العلميّ لديناميّاتها ورهاناتها، لا يزال أقلّ من المطلوب تجاه تحولات بدت معاكسة للسياق التاريخيّ الحديث (وربّما القديم أيضًا) للعلاقات البيئيّة.

وتبدو الظاهرة السوريّة - التركيّة مثالًا أو حيّزًا نشطًا لديناميّتين متعاكستين، الأولى هي سياسات وفواعل "التقارب" و"التداخل" و"الاعتماد المتبادل"، والثانية هي سياسات وفواعل "الانفصال" و"التخارج" و"التنافر". وإنّ استمرار تلك الديناميات المتعاكسة يُبقي العلاقات عند "نقطة التحوّل" فلا تطوي صفحتها لأنّها لم تحقّق شروطها كاملة، ويمكن تجاوز هذه النقطة أو تتجاوز بعض شروطها عندما يتوافق الطرفان موضوعيًا وسياسيًا على "تجاهل" فواعل التنافر وعوامله، وهذا يدخل فيما ندعوه "رهانًا تاريخيًا"؛ إلا أنّهما في حال اتّجها إلى تبنيّ خيارات وسياسات المنافسة والصّراع، فإنّ ذلك يضع العلاقات أمام احتمال التراجع عمّا كانت عليه حتّى قبل اتّفاق أضنة (تشرين الأوّل/ أكتوبر ١٩٩٨)، وربّما تتطوّر الأمور إلى مجابهة مباشرة، وهذا ما ندعوه "نكوصًا تاريخيًا".

وتشكّل الأزمة السوريّة مدخلا آخر للتّدقيق في طبيعة التحوّلات والرهانات التي شهدتها العلاقات السوريّة - التركيّة، وفي المحدّدات العامّة والتجليّات، وفي المقولات التركيّة بشأن الأزمة، إلى جانب السيناريوهات المحتملة (من منظور تركيا).

تتألّف الدّراسة من مقدّمة وإطار نظريّ، وسبعة محاور رئيسة. يتناول المحور الأوّل "نقطة التحوّل" في العلاقات السوريّة - التركيّة؟ وهل أنّ ما تشهده العلاقات هو "نقطة تحوّل"، أم "التباس جماعيّ" أم أنّه مقدّمة لـ"رهان تاريخيّ"؟ أمّا المحور الثّاني فيتناول "الرهانات التاريخيّة" للعلاقات السوريّة - التركيّة. ويتناول المحور الثّالث المحدّدات العامّة للموقف التركيّ من الأزمة السوريّة، في حين يتناول المحور الرّابع التجليّات العامّة للسياسة التركيّة تجاه الأزمة. ويركّز المحور الخامس على المقولات التركيّة في تفسير الموقف من الأزمة، بينما يتناول المحور السّادس العلاقة بين تركيا والمعارضة السوريّة. ونستعرض في المحور السّابع السيناريوهات الرّئيسة المحتملة للأزمة السوريّة (من منظور تركيا)، ونخصّص المحور الثّامن لعرض الاستنتاجات والاستخلاصات.

مشكلة الدراسة وأهدافها

دخلت العلاقات السورية - التركية في بداية القرن الحادي والعشرين مرحلة من التقارب النشط، وذلك بالتأسيس على تغييرات داخلية وأخرى ثنائية وإقليمية ودولية، مُعززة باستعدادات ومداركٍ سياسية جديدة نسبياً لدى الرئيس السوري بشار الأسد ورئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان، اللذين عملا على "تكيف" البرامج والسياسات وحتى الذهنيات المتوجسة والحذرة - وربما الأفكار المتحفظة والقلقة - مع مشروع التغيير في العلاقات البيئية. وحدث نوع من إسقاط "متعجل" لأفكارهما على الواقع، وهو ما أعطى الانطباع أنّ الطرفين ربما يتجهان لتأسيس تحالف وثيق قد يُجبّ - بكيفية غير مسبوقه - سياساتهما السابقة، وربما تحالفت كلٌّ منهما مع أطرافٍ ثالثة.

ولكن تطوّرات الموقف التركيّ من الأحداث في سورية (بدءاً من آذار/ مارس ٢٠١١) أثارت توقّعات كثيرة بأنّ التقارب الذي حصل في العلاقات لا تفسّره التطوّرات والوقائع البيئية والخطب السياسية، وإنّما يفسّره ما بعده، كأنّما "العبرة بالنتيجة". وهذا على أيّ حال مدخل محتمل للتحليل، ويمكن أن يوصل المتلقّي إلى تفسيرات مختلفة، يقترّب بعضها من "نظرية المؤامرة"، بناءً على مبدأ "إنّ بعض الظنّ إثم.. ولكن أكثره فطنة"، وهذا مدخل جائز في السياسة، ولكننا نميل إلى مقولة "الرهانات" السياسية، وهو ما نحاول تبيانه في هذه الدراسة، لأن الأمور قد تكون محكومة بـ"رهانات" وليس بـ"مؤامرات".

وهذا بدوره يطرح تحدّيات كثيرة، ليس أمام السياسيين فقط، وإنّما أمام الباحثين والمشتغلين بالبحث العلمي أيضاً، وهي أن يقدّموا جهداً ينطوي على مقاربات تحليلية وتفسيرية تساعد ما أمكن في "التفكيك" المنهجي للتطوّرات والتطوّرات المعكوسة، الاندفاع المحموم للتقارب والتكوص السريع عنه، الرهانات والرهانات المعكوسة. والمطلوب ليس تجديد الرؤى المعرفية والاستعدادات النفسية والأدوات والمفاهيم باستبدالها فقط، وإنّما مراجعتها أيضاً، ومراجعة المدارك الحاصلة عنها وعن الموضوع نفسه، لأنّ الموضوعات والوقائع - وحتى الحقائق - هي أيضاً ممّا يمكن إعادة إنتاجه، وهي في كلّ مرّة تكتسب معنى جديداً.

أهمية الدراسة

تشكّل دراسة العلاقات السورية - التركية مدخلاً لمقاربة التطوّرات والكيفيات التي تمكّن بها السوريون والأتراك من "طي" مرحلة التنافر والتوتر في علاقاتهما والدخول في مرحلة جديدة من التقارب أو "التحالف

الإستراتيجي"، وذلك خلال فترة زمنيّة قصيرة نسبياً، بدءاً من اتّفاق أضنة (تشرين الأوّل/أكتوبر ١٩٩٨)، وحتى تأسيس مجلس التّعاون الإستراتيجيّ (تشرين الأوّل/أكتوبر ٢٠٠٩)^(١). ثمّ الدّخول السّريع والمفاجئ في سياسات (والأصحّ رهانات) من المحتمل أن تقوّض كلّ ما جرى، على صعيد الدّولتين أو على صعيد النّظامين السياسيّين (في وضعهما الرّاهن على الأقلّ). ويمكن تركيز أهميّة الدّراسة ودواعيها العلميّة والأكاديميّة في النّقاط التّالية:

- تناول الظّاهرة السوريّة - التركيّة بتحوّلاتها وتداعياتها ورهاناتها ودائرة المتأثّرين بها، وقد عدّت في طوري التقارب والتّنافر "نقطة تحوّل" في علاقات الطّرفين المعنيّين، بل وفي اتّجاه السّياسات الإقليميّة.

- التّحليل النّفاسيّ للعلاقات السوريّة - التركيّة، ومحاولة "تجريب" أو "اختبار" مفاهيم مثل "نقطة التّحوّل" و"الرّهان التاريخي" على موضوع من طبيعة سياسيّة متغيّرة.

- إنّ دراسة "نقطة تحوّل" أو "رهان تاريخي" هي تناول لما يصعب توقّعه أو التكهّن به، ومن ثمّ فهي نوعٌ من المخاطرة أو "الرّهان" البحثي، وقد ينطوي ذلك على ممارسة شيء من التّأويل أو التّخمين في بعض الجوانب.

- دراسة الموقف التركيّ من الأزمة السوريّة، المحدّدات العامّة (البيئة الدوليّة، والإقليميّة، والثنائيّة، والداخليّة فيما يخصّ تركيا)، والتجليات العامّة للموقف (السياسيّة، والأمنيّة والعسكريّة، والأثنيّة، والإعلاميّة)، والمقولات التركيّة في تفسير الموقف من الأزمة (التّغيير والديمقراطيّة، موقف أخلاقيّ، وإرادة الشّعوب، أدب النّصيحة، "العبء التركيّ" أو "ما يجب القيام به"، "التّحديات الماثلة")، وتركيا والمعارضة السوريّة، والسّيناريوهات المحتملة للأزمة من منظور تركيا (الإصلاح، النّظام البديل، الفوضى أو الحرب الأهليّة).

^١ - عقد مجلس التّعاون الإستراتيجيّ السوري - التركيّ عالي المستوى اجتماعه الوزاريّ الأوّل بين حلب (سورية) وغازي عينتاب (في تركيا) في ٢٠٠٩/١٠/١٣، حيث اتفق الجانبان على إلغاء سمات الدخول بينهما، كما وقّعا ٣٠ اتفاقية ومذكرة تفاهم في مجالات الدفاع والأمن والزراعة والرّي والاقتصاد والتجارة والتعليم والخارجيّة والنفط والثروة المعدنيّة والنقل والإسكان والكهرباء والصّحة والداخليّة. وكان اجتماعه الثاني في مدينة اللاذقيّة (سورية) في ٢٠١٠/١٠/٣، والذي غلبت عليه القضايا الأمنيّة.

الدراسات السابقة

ثمة قدرٌ متزايدٍ نسبياً من التناول العلمي للسياسات السورية والتركيّة، أو جوانب جزئية منها، أو كما يجري تناولها باعتبار العلاقات بينهما جزءاً من تناولٍ أوسع لما يتعلّق بسورية أو تركيا، فنّمة تناولٍ لسياسة تركيا تجاه كلّ من سورية وإيران^(٢)، وموقف تركيا من محادثات التسوية السياسيّة بين سورية وإسرائيل في التسعينيات^(٣)، والسياسة التركيّة بين سورية وإسرائيل في فترةٍ لاحقة، وسياسة تركيا في الشرق الأوسط^(٤)، وعلاقتها مع الولايات المتّحدة^(٥)، والاتّحاد الأوروبي^(٦)، وإسرائيل^(٧)، وجدل التغيّر في السياسة التركيّة بين الشرق والغرب^(٨)، إلى جانب تناول مفردات المياه أو الأكراد^(٩)، أو العراق أو الخليج أو إيران^(١٠). وينسحب

^٢ - انظر مثلاً:

Bülent Aras & Rabia Karakaya Polat, "From Conflict to Cooperation: Desecuritization of Turkey's Relations with Syria", *Security Dialogue*, SAGE Publications: Vol. 39, No. 5, (2008), pp. 495-515.

^٣ - انظر مثلاً:

Ayşegül Sever, "Turkey and the Syrian-Israeli Peace Talks in the 1990s", *Middle East Review of International Affairs*, Vol. 5, No. 3, (September 2001), pp. 87 - 99.

^٤ - انظر مثلاً:

Meliha Benli Altunışık, "The possibilities and limits of Turkey's soft power in the Middle East", *Insight Turkey*, No. 2, Vol. 10, (Ankara: April- June 2008), p. 50-53.

& William Hale, "Turkey and the Middle East in the "New Era"", *Insight Turkey*, (Ankara: Vol. 11, No. 3, 2009), pp. 143-159.

^٥ - انظر مثلاً:

Stephen Larrabee, *Troubled Partnership U.S.-Turkish Relations in an Era of Global Geopolitical Change*, (Santa Monica: Rand, 2010).

^٦ - انظر بصورة عامّة:

Peter M.E. Volten (editor), *Perceptions and Misperceptions in the EU and Turkey: Stumbling blocks on the road to accession*, (Groningen: The Centre of European Security Studies, 2009), & Heinz Kramer, "Turkey and the EU: The EU's Perspective", *Insight Turkey*, (Ankara: Vol. 8, No. 4 October and December 2006), pp. 24-32.

^٧ - انظر مثلاً:

Gokhan Bacik, "Turkish-Israeli Relations after Davos: A View from Turkey", *Insight Turkey*, (Ankara: Vol. 11, No. 2, 2009), pp. 31-41. Bruce Maddy-Weitzman and Asher Susser, (Editors), *Turkish-Israeli Relations in a Trans - Atlantic Context: Wider Europe and the Greater Middle East*, Conference Proceedings, (Tel Aviv: Tel Aviv University, the Moshe Dayan Center for Middle Eastern and African Studies, 2005), pp. 51-58.

^٨ - انظر مثلاً:

Philip Robins, "Between the EU and the Middle East: Turkish Foreign Policy under the AKP Government, 2002-2007", Working Papers, (Milano: Istituto per gli Studi di Politica Internazionale- ISPI, 2007), 23p. p.19-20.

^٩ - انظر مثلاً:

Nesrin Ucarlar, *Between Majority Power and Minority Resistance: Kurdish Linguistic Rights in Turkey*, (Lund : Lund University, 2009).

^{١٠} - انظر مثلاً:

Aras & Polat, *From Conflict to Cooperation*, pp. 495-515.

ذلك بكيفية أو أخرى على السياسة السورية^(١١)، وإن كان التناول العلمي لما يتعلّق بها قليلاً نسبياً مقارنةً بتركيا.

وثمة قدر محدود لتناول العلاقات السوريّة التركيّة بشكل كليّ، ويمكن التّركيز هنا على الدّراستين التّاليتين:

١ - سورية وتركيا: الواقع الرّاهن واحتمالات المستقبل (٢٠٠٩)^(١٢)

تتناول تطوّرات العلاقات بين البلدين انطلاقاً من مقولة رئيسة تخصّ عوامل التّنافر وعوامل التّجاذب، والتي ترى الدراسة أنّها تتسحب على مفردات العلاقات السوريّة - التركيّة ومستوياتها. وتتفحص الدراسة عدداً من المقولات الفرعيّة، منها: أنّ السّياسات الخارجيّة للدّولتين تتشارك في المفردات التكوينيّة وتتفاوت في التّشكيلات والتّجليات، كما أنّ العلاقات البينيّة تتسمّ بـ"التّردّد" و"اللا حسم" و"التّأجيل"، وهو نوع من إرادة قصديّة لديهما. وتعدّ هذه الدّراسة التي نحن بصدها هنا جزءاً آخر من جهد كاتبها في تحليل الظّاهرة السوريّة - التركيّة.

٢ - "من جيران متباعدين إلى شركاء: تغيير العلاقات السوريّة - التركيّة" (٢٠٠٦)^(١٣)

تتطلق الدّراسة من وقائع مباشرة، وتقوم بسرد طويل نسبياً لتاريخ العلاقات بين سورية وتركيا وتطوّرها، وهي قصّة الانتقال من جيران متباعدين ومتنافرين إلى شركاء. وتتسمّ بالجديّة إلى حدّ ما، وتستخدم أدوات تحليل جيّدة نسبياً، إلا أنّها لا تحافظ على التّوازن الموضوعيّ المفترض بين السّرد التاريخيّ، وبين التّحليل المطلوب للفكرة الرّئيسة التي تقترحها بشأن التّباعّد والشّراكة. كما تُبرز الأحداث والوقائع الخاصّة بتركيا بكيفية أكبر نسبياً ممّا تبرزه عن سورية، مع الإشارة إلى أنّ الدّراسة تبني بعض تحليلها على مصادرٍ سوريّة مباشرة.

مقولات الدّراسة

^{١١} - انظر مثلاً:

Flynt Leverett, *Inheriting Syria: Bashar's Trial by Fire*, (Washington, DC: Brookings Institution, 2005).

الترجمة العربيّة: فلاينت ليفريت، وراثة سورية: اختبار بشار بالنار، ترجمة: مركز المعطيات الإستراتيجية، ط١، (دمشق: المركز، ٢٠٠٥). و
Hinnebusch, Raymond, "Globalization and Generational Change: Syrian Foreign Policy between Regional Conflict and European Partnership", in: Gerd Nonneman (Edits.), *Analyzing Middle East Policies and the Relationship with Europe*, (New York: Routledge, 2005), pp. 81-99.

^{١٢} - عقيل سعيد محفوظ، سورية وتركيا: الواقع الرّاهن واحتمالات المستقبل، ط١، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، ٢٠٠٩).

^{١٣} - Meliha Benli Altunışık & Omer Ozelm Tur, "From Distant Neighbors to Partners? Changing Syrian-Turkish Relations", *Security Dialogue*, Vol. 37, No. 2, (SAGE Publications: 2006), pp. 229-248.

هناك حيّز اختبارٍ جدّي في التفاعلات السوريّة - التركيّة، وأحياناً حيّز تظهير وتجلٍّ لرؤى تاريخيّة وفكريّة عديدة. وسنبحث في هذه الدّراسة ما إذا كانت تلك العلاقات شهدت "نقطة تحوّل" أو "قطيعة" مع اللّحظة السّابقة، أم أنّ ذلك جزء من مقاصدٍ أخرى وفي إطار إستراتيجيّاتٍ أكبر؟ وما هي مصادر ومحدّدات تلك الديناميّة النّشطة والرّهانات المفتوحة على المستقبل، ولكن أيضاً المشدودة إلى الماضي.

تركّز المقولة الرّئيسة لهذه الدّراسة على أنّ العلاقات السوريّة - التركيّة محكومة بـ "نظام التّنافر - التّجاذب"^(١٤)، وأنّ ثمة تحولات في الوزن النسبيّ، وفي شكل ذلك النّظام أو تلك الثنائيّة واتّجاهها، وقد اتّخذ ذلك طورين رئيسيين:

- الأوّل استمرّ لمدّة تزيد على عشر سنوات (١٩٩٨ - ٢٠١٠) ويتميّز بـ "غلبة" عوامل التّجاذب على عوامل التّنافر، بكيفيّة كثيفة ومتسارعة، لدرجةٍ أثارت معها توقّعات متزايدة بأنّ تلك العلاقات تمضي في مسار تطوّريّ مفتوح على أفق غير محدّد.

- الثّاني وهو حديث أو طارئ، ويمكن القول إنّّه يعود إلى بداية ما يُعرف بـ "موجة الثّورات العربيّة"، حيث أخذت مؤشّرات التّنافر تزداد، ولكن ما لبثت الأمور أن أخذت شكلها العلنيّ منذ اندلاع موجة التّظاهرات والاحتجاجات في سورية (آذار/ مارس ٢٠١١). وتجسّد ذلك في غلبة متزايدة لعوامل التّنافر على المشهد السوريّ - التركيّ.

ترى هذه الدّراسة أنّ الدّخول في "تحالف إستراتيجي" ليس "نقطة تحوّل" بمعنى القطيعة والتّغيير الكليّ في العلاقات البينيّة، وإنّما "خروج" من نظام تفاعلات كان التّنافر هو الغالب عليه، إلى نظام مُختلط يكون التّجاذب هو الغالب عليه، فيما تكون عوامل التّنافر - في هذه الحالة - "متنحيّة" أو "مسكوتا عنها" أو "محجورا عليها"، بكيفيّةٍ أو بأخرى.

^{١٤} - شكل نظام "التّنافر - التّجاذب" المقولة المركزيّة لدراسة شاملة عن العلاقات السوريّة - التركيّة، انظر: عقيل سعيد محفوظ، سورية وتركيا: الواقع الرّهان واحتمالات المستقبل، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

منهجية البحث والمفاهيم الرئيسية

تتبنّى الدراسة مدخل التحليل الثقافي للعلاقات الدولية^(١٥)، والذي يتشعب بدوره إلى مداخل فرعية متعدّدة، وذلك لتغطية الإشكاليات أو المقولات الرئيسية للدراسة كما وردت في فقرة سابقة. وتركز على ثنائية مفاهيمية هي "نقطة تحوّل" و"رهان تاريخي". وهما مفهومان إجرائيان، يهدفان إلى موضوعة تحولات العلاقات السورية - التركية ودينامياتها في سياق تحليل "تجريبي" أو "اختباري"، والمساعدة في توضيحها وإضاءة بعض جوانبها.

"نقطة تحوّل":

"نقطة التحوّل" هي مفهوم رياضيّ وفيزيائيّ في الأساس، وقد استعارته الدراسات الاجتماعية والإنسانية، كما تفعل عادةً بقدر متفاوت من "التبئية" و"التكيف"، وذلك للمساعدة العلمية أو الإجرائية في التحليل. ولكن مع ذلك ليس ثمة "نقطة تحوّل" قابلة للتعيين في الظواهر الاجتماعية، وخاصة السياسية منها، على خلاف الظواهر المادية أو الطبيعية. ومن ثمّ، فإنّ الحديث عن "نقطة تحوّل" في السياسة هو أمر افتراضيّ أو لنقل إنّه توظيف إجرائيّ لمفهوم "مُستعار"، ولكن ليس من دون مؤشّرات مادية ومعنوية، وهي عديدة، منها مثلاً المؤشّرات الخاصة بالتبادل التجاريّ والتفاعلات الاجتماعية ومؤشّرات التنمية^(١٦)، إلى جانب مؤشّرات استطلاعات الرأي التي تعكس بكيفية ما الصّور والمدارك المتبادلة، والأحداث السياسية والطبيعية المؤثّرة، إلخ^(١٧).

^{١٥} - السيد يسين، الخريطة المعرفية للمجتمع العالمي، ط١، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٨)، ص ٦١ - ٦٣.

وأيضاً: برتراند بادي وماري كلودسموتس، انقلاب العالم: سوسولوجيا المسرح الدولي، ترجمة: سوزان خليل، ط٢، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٦)، ص ٢٢ - ٣٢.

^{١٦} - انظر بصورة عامة: محفوض، سورية وتركيا: الواقع الراهن واحتمالات المستقبل، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٢ - ٣٠٦، ص ٣٤٥ - ٣٥١.

^{١٧} - انظر مثلاً:

Talip Küçükcan, *Arab Image in Turkey*, Seta Research Report, (Ankara: No. 1, June 2010), 40 p. & Mensur Akgün, (& Others), *The Perception of Turkey in Middle East*, (Istanbul: TESEV-Turkish Economic and Social Studies Foundation, Foreign Policy Program, September, 2009), 36p. & Meliha Benli Altunışık, *Turkey: Arab Perspectives*, (Istanbul: TESEV-Turkish Economic and Social Studies Foundation, Foreign Policy Program, No. 11, 2010), 32p.

"رهان تاريخي":

الرّهان هو تعبير مجازي، ويستند إلى التّدخل الحاصل بين ما تريده الوحدة الدوليّة من جهة وبين ما تتوقّع الحصول عليه، أو ما تعدّه ممكناً، فهو التّدخل الحاصل بين عددٍ من البدائل، وهذا يجعل من السياسة رهانا مستمراً، منافسةً وربما صراعاً ومكابدةً، بين بدائلٍ قد تكون متقاربةً أو متضاربةً، طالما أنّها (السياسة) لعبة أو مباراة بين إرادات ومطالب وأهداف لعدد متفاوت من اللاعبين والمعنيين.

والرّهان هنا ليس فقط "لعب" على إسقاطات للوقائع والأحداث أو "تأويل" للمفردات والمعاني والدلالات اللفظيّة المتضمّنة في البرامج والخطط السياسيّة، وإنّما هو أيضاً "لعب" على احتماليّتها وإمكانات تحقّقها، والتّدخل (وربما التّعاض) الحاصل بينها وبين "رهانات" وبدائلٍ أخرى.

ولكن ثمة بُعدٌ ينطوي على أهميّة خاصّة (في الواقع مُقرّرة)، وهو أنّ الرّهان تجلّ لعدد من المدارك النّشطة لدى طرف أو أطراف يقرؤون الفضاء أو المجال السياسيّ بقدر من الجديّة والمرونة، ويمتازون بقدرٍ أو آخر من القوّة والمبادرة. ويبدو الرّهان بديهياً، وطبيعياً، وربما أمراً ملازماً للسياسات، ملازمة الضّرورة، إلا أنّه مع ذلك ليس فقط تحصيلاً حاصلًا، إنّما هو - إلى ذلك - "هندسة"، بل هو "إرادة قصديّة"، ويتأسّس على مدارك نشطة وإرادة ومبادرة تستند بدورها إلى مزيج من الوقائع والتخيّلات أو الآمال.

أولاً- سورية وتركيا: هل هي "نقطة تحوّل"؟

يرتبط الحديث عن "نقطة تحوّل" بلحظة حَدِيثِيَّة، أي لحظة زمنية ومكانية ما، ترجع إليها العلاقات السوريّة - التركيّة والمتحدّثون عنها للقول إن كلّ ذلك "انتهى" هنا. هذا في ما يتعلّق بتطوّرات التّقارب مثلاً، أو أنّ كلّ هذا "بدأ" هنا، فيما يتعلّق بتطوّرات التّفانر التي حدثت مؤخّراً.

ويحيل هذا إلى ما يُعدُّ أمرًا مؤسّسًا حديثًا ونفسيًا وزمانيًا ومكانيًا، راهنًا ومستقبلًا، وغالبًا ما تتمّ الإشارة إلى أزمة تشرين الأوّل/ أكتوبر ١٩٩٨ و" اتّفاق أضنة" الأمنيّ، والذي يعدّ بالنسبة إلى الكثيرين تاريخًا مستحدثًا ونشأة مستأنفة. وهذا ينسحب إلى حدّ ما على سلسلة الأحداث والتطوّرات اللاحقة المرتبطة به وصولاً إلى الحرب الإسرائيليّة على غزّة (كانون الأوّل/ ديسمبر ٢٠٠٨ - كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٩) والاعتداء الإسرائيليّ على سفينة مرمرة التركيّة (٣٠ أيار/ مايو ٢٠١٠) التي كانت في عداد "أسطول الحرّية" المتّجه إلى غزّة. كما أنّ المعنى نفسه يحيل - ولكن بكيفيّة معكوسة - إلى الأزمة الرّاهنة في العلاقات السوريّة - التركيّة وتطوّرات الموقف التركيّ من الأحداث والاحتجاجات التي اندلعت في سورية منذ آذار/ مارس ٢٠١١.

وقد أظهرت التطوّرات اللاحقة لأزمة تشرين الأوّل/ أكتوبر ١٩٩٨ أنّ تلك اللّحظة كانت "نقطة تحوّل" أو بداية جديدة، وأنّ معناها يحدّده ما بعدها. ومن ثمّ فإنّ المطلوب هو "تعيين" تلك النّقطة على الصّعيد السياسيّ والمعرفيّ أو الإدراكيّ، وهذا ما لا تستطيعه لحظة زمنيّة أو حدثيّة بعينها، على أهمّيّتها. ويحيل ذلك إلى فترة زمنيّة وسلوكيّة مديدة نسبيًا، وهي هنا أزيد من عشر سنوات، في الفترة (١٩٩٨ - ٢٠١٠)، وهو ما يجعل الحديث عن "طيّة سياسيّة" ممكناً. ولكن لكلّ "طيّة" ما بعدها، وهو ما يظهر اليوم في الأزمة السوريّة تفسّره أيضاً التطوّرات والتّداعيات اللاحقة.

والواقع أنّ الخطاب السياسيّ حفل بالإشارات والتّقديرات عن التحوّل في العلاقات السوريّة - التركيّة، وكان ذلك جزءًا من أيديولوجيا رسميّة نشطة، ومخيال شعبيّ ذي طبيعة احتفائيّة ولذّة تلقّ واضحة، قد لا نجدّها في حالات أخرى، حتّى في الانفتاح بين دول عربيّة مثلاً. ويتطلّب الأمر المزيد من التّحليل من زوايا

ومداخل مختلفة، وهذا يتعلّق بالجانب السوريّ أكثر من الجانب التركيّ، حسب ما تورده استطلاعات الرّأي التي أُجريت في عدد من الدّول العربيّة وتركيا أواخر عام ٢٠٠٩ وبدايات عام ٢٠١٠^(١٨).

وقد أتينا على ذكر ذلك في حيّز آخر^(١٩)، ونورد المعلومات الإحصائيّة مجدّدا نظرا لأهميّتها، إذ أظهرت الاستطلاعات المذكورة أنّ ٨٧% من المُستطلّعين السوريّين يرون أنّ صورة تركيا ممتازة، مقارنة بالمعدّل الوسطيّ للدّول العربيّة العشر التي تمّ استطلاع الآراء فيها وهو ٧٥%. ويحتلّ السوريّون في تقييمهم لصورة تركيا (يشاركهم فيها الفلسطينيون) المرتبة الأولى بين الدّول العربيّة العشر، (انظر الجدول رقم ١). وفي المقابل يرى ٣٧,١% من المُستطلّعين الأتراك أنّ صورة سورية إيجابيّة، و٢٥,٣% منهم يرونها سلبية، و١٩,٧% منهم "لا سلبية ولا إيجابيّة"، و١٧,٩% لا قرار. كما تأتي سورية في المرتبة الـ ٥ بين الدّول العربيّة بالنّسبة إلى الصّورة الإيجابيّة وتتقدّمها: مصر، والسّعودية، وفلسطين، واليمن. (انظر الجدول رقم ٢).

الجدول (١): صورة تركيا لدى السوريّين *

السؤال	سورية (%)	المعدل الوسطي في الدول العربية العشر
هل ترى صورة تركيا ممتازة؟	٨٧	٧٥
هل يمكن أن تكون تركيا نموذجا للعالم العربي؟	٧٢	٦١
هل أصبحت تركيا أكثر تأثيرا في العالم العربي؟	٨١	٧١
هل على تركيا أن تلعب دورا أكبر في العالم العربي؟	٨٢	٧٧

* معطيات مختارة من نتائج استطلاع للرأي أجراه في عشر دول عربية برنامج السياسة الخارجية في مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية

(TESEV) - تركيا، بتاريخ ٢٤-٢٩ تموز/ يوليو ٢٠٠٩.

المصدر:

Mensur Akgün et al., *The Perception of Turkey in Middle East*, (Istanbul: TESEV-Turkish Economic and Social Studies Foundation, Foreign Policy Program, September, 2009), p. 36.

^{١٨} - انظر:

Kucukcanp, *Arab Image in Turkey*, & Akgün, *The Perception of Turkey in Middle East*, & Meliha Benli Altunışık, *Turkey: Arab Perspectives*,

^{١٩} - عقيل محفوض، "العلاقات السورية - التركية: التحولات والرهانات"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ١٦/١١/٢٠١١، ص ٣٩-٤٠:

<http://www.dohainstitute.org/file/pdfViewer/8f8c36b6-8d55-4936-a665-8b8e8968d88e.pdf>

الجدول (٢): صورة العرب لدى الأتراك ** *

الموقف					
إيجابية	لا إيجابية ولا سلبية	سلبية	لا قرار		
٤٢,٧	٢١,٠	١٧,٢	١٩,١	مصر	الدولة
٤١,٥	١٩,١	٢٤,١	١٥,٣	السعودية	
٣٨,٢	١٧,٦	٢٥,٧	١٨,٥	فلسطين	
٣٧,٩	١٩,٣	١٦,٩	٢٥,٩	اليمن	
٣٧,١	١٩,٧	٢٥,٣	١٧,٩	سورية	

** مؤشرات مختارة من نتائج استطلاع أجري في ١٢ منطقة أو مدينة تمثل ١٢ إقليمًا، قامت به (Pollmark Research Company) على عينة مؤلفة من ٣٠٤٠ فردًا فوق ١٨ سنة من المدن والأرياف، في الفترة ٣-١١/٢٠٠٨.

المصدر:

Talip Küçükcan, "Arab Image in Turkey", *Seta Research Report*, No. 1, (Ankara: June 2010), p. 24.

وأذكر أنّ الإشارة إلى هذه المعطيات كانت "مرفوضة" بالنسبة إلى مجموعة من السياسيين والأكاديميين خلال حلقة نقاش (تمهيدية) حول العلاقات السورية - التركية في دمشق أواخر عام ٢٠١٠، وثمة من عبّر عن مستوى مفرط من الثقة في مستقبل العلاقات مع تركيا، ومعتبراً أنّها "خيار إستراتيجي"، وكأنّ الاعتبارات الخطابية والسلوكية تصبح واقعا لمجرد إبداء الرغبة أو القناعة بها.

والقصد من تناول هذه الجزئية هو لفت نظر المثقفين والسياسيين إلى جوانب من الإدراك المتبادل بين السوريين والأتراك ممّا يتطلب التدقيق فيه ومناقشته، وليس فقط التفكير في اقتراحات تركية لمراجعة صورة الأتراك في الكتب المدرسية السورية! ويذكر هذا بضغط من الولايات المتحدة لمراجعة الكتب المدرسية في عدد من الدول العربية والإسلامية بعد أحداث أيلول/سبتمبر ٢٠٠١.

وقد كان الخطاب السياسي لرئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان وأركان حكومته وحزبه يتضمّن مفردات عاطفية واستقطابية نشطة حول العلاقات بين السوريين والأتراك، ولكنّه اتخذ مضامين واتجاهات معكوسة منذ اندلاع الأحداث في سورية، حيث ركّز على المقولات الإبحائية والتأويلية النشطة والتي تتكرّر بكيفية

"غير اعتيادية"، حول أنّ ما يجري في سورية هو "شأن داخلي" لتركيا^(٢٠)، ويخلص أردوغان للقول إنّه "من المستحيل بالنسبة إلينا أن نظلّ صامتين في مواجهة هذه الأحداث"^(٢١).

ولكن إحياءات أردوغان وتصريحاته تردّدت أصدائها لدى شرائح اجتماعية وسياسية معينة في سورية، وهو ما يفسّر الشعارات والهتافات المؤيِّدة لتركيا في مناطق محدّدة، مثل حمص وبانياس وتلكلخ وجسر الشغور وحماه، حيث رُفِعَ علمُ تركيا وظهرت كتابات وصور مؤيِّدة لأردوغان، يطالب بعضها بتدخّل تركيا في الأزمة السورية^(٢٢)، ربّما بتأثير التوتّرات الداخليّة الرّاهنة وموجة الاستقطاب الدينيّ والسياسيّ في المنطقة، التي اقترنت بأجواء الانتخابات التركيّة في ١٢ حزيران/ يونيو ٢٠١١، وما بعدها^(٢٣).

وقد تحقّق لأردوغان بسبب تلك المواقف والتصريحات نسبة تأييد عالية نسبياً، بين الأتراك والعرب، وأظهرت نتائج استطلاع للرأي أجراه (Pew Research Center) في الفترة ما بين ٢١ آذار/ مارس و٢٦ نيسان/ أبريل ٢٠١١، أنّ ٦٢% من المُستطلعين الأتراك يؤيِّدون السّياسة الخارجيّة لحكومة أردوغان، بينما عبّر ٧٨% من المُستطلعين في مصر عن ثقتهم بسياسة أردوغان، ٧٢% في الأردن، و٦٤% في لبنان^(٢٤). وهذا يفوق نسب التأييد لأردوغان في تركيا نفسها^(٢٥) (انظر الرّسم رقم ١).

^{٢٠} - قال رجب طيب أردوغان في ١٤ أيار/ مايو ٢٠١١، "إنّ ما يحدث في سورية كأنما هو شأن داخلي، لأنّ بيننا حدودا بطول ٨٥٠ كم، وعلاقات متينة". *Hurriyet Daily News, Istanbul, 15-5-2011*.

وقال أردوغان خلال اجتماع لاتحاد الغرف التجارية والبورصات التركية في أنقرة (١٦ أيار/ مايو ٢٠١١)، إنّ "تركيا تتابع التطورات في سورية كما لو كانت شأنًا داخليًا بالنسبة إليها"، (السفير، بيروت: ١٧-٥-٢٠١١).

^{٢١} - أخبار العالم، ٢٨-٣-٢٠١١.

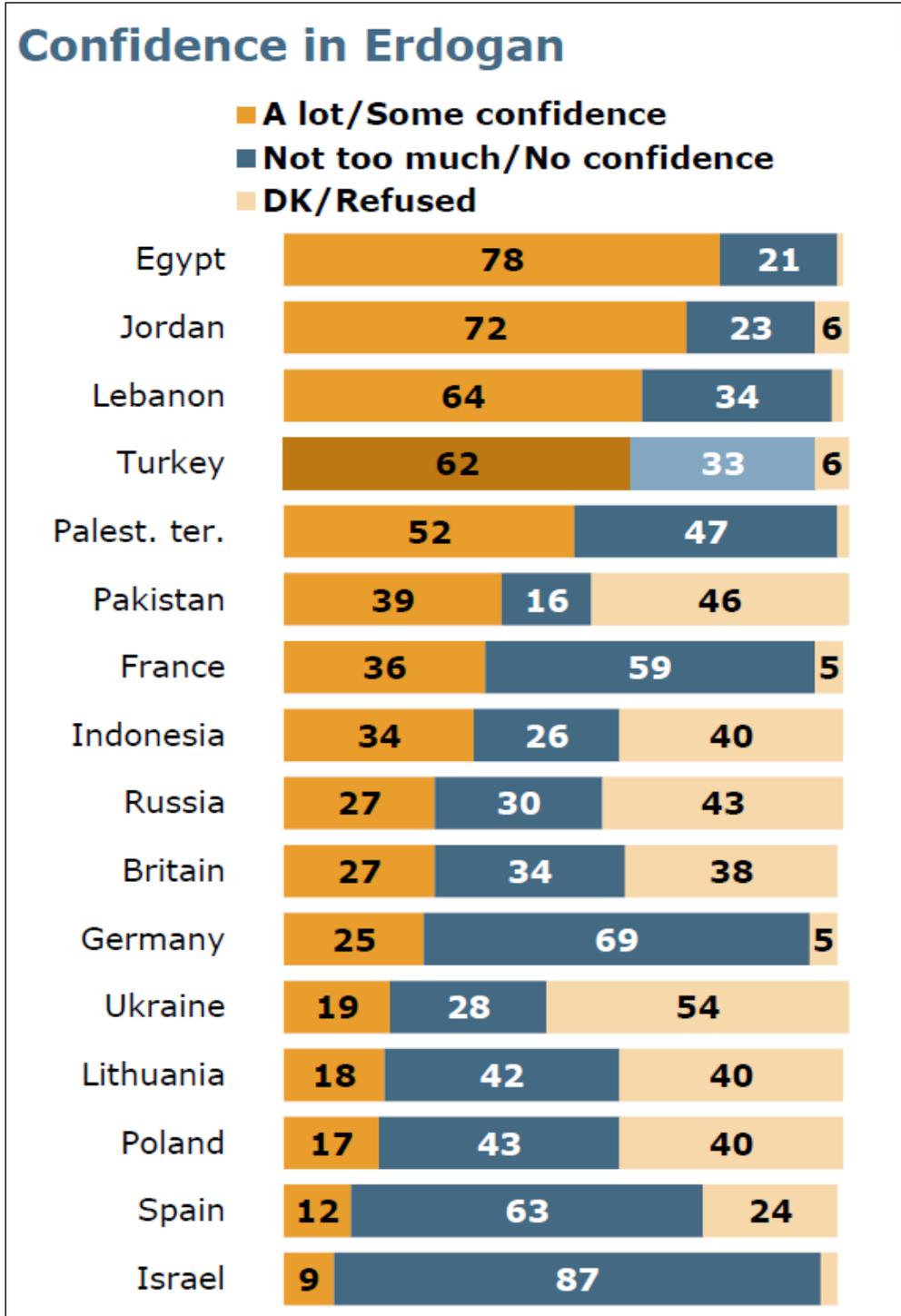
^{٢٢} - أخبار العالم، ١٣-٥-٢٠١١.

^{٢٣} - محمد نور الدين، "أردوغان يتجاوز الخطوط الحمر الانتخابية: اللعب على الوترين المذهبي والعراقي"، السفير، ١٣-٥-٢٠١١.

^{٢٤} - Pew Global Attitudes Project, PM Erdogan Gets High Marks for Foreign Policy, In: *Eve of Elections, a More Upbeat Mood in Turkey*, (Pew Research Center, JUNE 7, 2011), p.3.

^{٢٥} - *Today's Zaman*, Istanbul: 8-6-2011).

رسم (١): ثقة المستطلعين في سياسة رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان



المصدر:

Pew Global Attitudes Project, PM Erdogan Gets High Marks for Foreign Policy, *On Eve of Elections, a More Upbeat Mood in Turkey*, (Pew Research Center, JUNE 7, 2011), p.3.

"ثقوب سوداء"؟

يثير موضوع "نقطة التحوّل" العديد من القضايا الإشكاليّة، فهو يصحّ على مسار العلاقات السياسيّة العمليّة، وله تداعيات كثيرة في قطاعات أخرى، والواقع أنّه طبع - بكيفيّة غير مسبوقّة - العلاقات البينيّة ككلّ، وجوانب من العلاقات مع الأطراف الأخرى، إلا أنّ الإشكاليّ هنا، هو الجوانب التي لم يشملها التحوّل، أو "لم يفكّر فيها"، أو "سكت عنها" أو "تُنكّر لها"، أو "حُجر عليها"، برغبة قصديّة من أصحاب الشّأن.

والواقع أنّ ذلك يتجاوز كونه "رغبة متبادلة" إلى كونه "إرادة قصديّة"، ما يعني أنّه هو نتيجة قرارات ووقائع سياسيّة وأمنيّة واقتصاديّة وثقافيّة مختلفة، وهي التي أرادت - بكيفيّة ما - ألا يمسّ التحوّل أو التغيّر "البراديجم" أو "النّظام" الإرشاديّ العميق للسياسات لدى كلّ طرف. وماذا يكون وضع قضايا المياه والحدود وإسكندورن، والموارد الماديّة والمعنويّة المتعلّقة بالأراضي والنّاس الملحقين بتركيا^(٢٦)، والارتباطات الأمنيّة الحساسّة مع حلف النّاتو والولايات المتّحدة وإسرائيل، إلخ؟ هل يمسّها مفهوم "نقطة التحوّل"؟ هل يمكن الحديث بشأنها أمام النّاس؟

الجواب هو حتّى الآن: لا! بل إنّ العكس هو ما حصل في بعض الحالات، وهو ما كان متوقّعا حتّى اللّحظة الرّاهنة، أي أن يُنظر إلى تلك الجوانب والمفردات باعتبارها مصادر تهديد لتطوّر العلاقات الرّاهنة، و"ثقوباً سوداءً" أو "نقاط ارتكاس" محتملة، أو لنقل "نقاطاً نكوصيّة" من الممكن أن تعاود حضورها وتأثيرها طالما أنّها لم تعلن كـ "نقاط حوار" أو "نقاط خلاف" أو حتّى قضايا متروكة للمستقبل. وهذه مفردات متعلّقة بالتطوّرات الرّاهنة في العلاقات وخاصّةً بعد أزمة الاحتجاجات في سورية.

عوامل التّجاذب - التّنافر

من الواضح أنّ المسألة تتجاوز بعض النّقاط الخلافيّة القائمة، إلى ما نعدّه "عوامل تنافر" تكمن في كلّ مفردات العلاقات السوريّة - التركيّة أو معظمها، ذلك أنّ كلّ مفردة منها هي "عامل تجاذب" و"عامل تنافر"

^{٢٦} - عقيل سعيد محفوض، "العرب في تركيا: محور تواصل أم تأزيم؟"، مؤتمر العرب وتركيا: تحديات الحاضر ورهانات المستقبل، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ١٨ و١٩ أيار/ مايو ٢٠١١.

في الوقت نفسه^(٢٧). ويتوقّف الأمر على مجموعة من المتغيّرات التفسيرية والضغوط أو التحولات الداخلية أو الغيرية أو "الاخترافية".

ومن ثمّ فإنّ "نقطة التحوّل" هي تطوّر مزدوج أو مركّب المعاني، فقد تكون تطوّراً إلى الأمام، وقد كان لديها (حتّى وقت قريب جدّاً) كلّ العوامل المسببة والمؤهّبة لأن تكون كذلك؛ وقد تكون تطوّراً "ارتكاسياً" أو "تكوصياً" إلى الخلف، ولديها الكثير من الأسباب الكامنة والدوافع الضمنية (والوشيكية) و"المسكوت عنها" أو "المُتَنكّر لها"، إضافةً إلى تطوّرات الأزمة الرّهانة، لأنّ تمضي في اتّجاهٍ مغاير. وقد توصل وزير الخارجية السوريّ وليد المعلم في ٢٢-٦-٢٠١١ إلى أنّ العلاقات بين سورية وتركيا كانت "حبّاً من طرف واحد"^(٢٨).

هنا، قد يكون الحديث عن "نقطة تحوّل" أخرى صحيحاً، ذلك أنّ الأطراف المعنية لم تستطع ضمان استمرار واستقرار عوامل التقارب والإرادة القصدية لدى صانعي القرار والنخب السياسية القادرة والمؤثّرة لدى الطرفين، وقد حدث ذلك لصالح المدارك الخاصة والاعتقادات والتفضيلات الضمنية أو "المسكوت عنها" أو التفاعلات الخارجية وديناميات التغلغل الإقليمية والدولية، وهذا يتعلّق بالموقف التركيّ أكثر منه بالموقف السوريّ، طالما أنّ تركيا هي الطّرف المبادر في الأزمة الرّهانة.

والواقع أنّ الخبراء والعاملين في حقل التفاوض والاتّصال المباشر والجوانب العملية والتنفيذية في موضوعات العلاقات السوريّة - التركيّة يدركون عيانياً تجاذبات الموقف التركيّ الكليّ تجاه سورية. وإنّ هذا الذي يحدث الآن، ليس خارج السّياق التاريخيّ والسياسيّ للعلاقات في بيئة إقليمية وتكوينات دوليّة غير نهائية، وغير مستقرّة، أو لديها "قابلية" عالية للتأثر بأطرافٍ ثالثة. ونعني هنا مجدّداً ديناميات الاعتماد والتغلغل أو الاختراق الخارجيّ.

^{٢٧} - محفوظ، سورية وتركيا: الواقع الرّهان واحتمالات المستقبل، مصدر سبق ذكره ص ٤٥.

^{٢٨} - انتقد وزير الخارجية السوري وليد المعلم، في مؤتمر صحفي عقده في دمشق (٢٢-٦-٢٠١١)، مواقف بعض الدول تجاه الأزمة في سورية، وعلق بعد إلحاح الصحفيين على الموقف التركي بقوله: "نحن حريصون على أفضل العلاقات مع الجارة تركيا.. لدينا أكثر من ٨٥٠ كيلومترا من الحدود المشتركة يؤثرون عليها ونؤثر عليها، ولا نريد أن نهدم سنوات من الجهد الذي قاده الأسد لإقامة علاقة مميزة إستراتيجية مع تركيا"، ودعا "الأترك إلى إعادة النظر في موقفهم"؛ وقال: "إنّ الدبلوماسية السورية مشهورة بهدونها وبعدم رد فعلها وبأنها تمّد يدها للآخرين، لكن كما سبق أن قلت إنّ الحب من طرف واحد مُضنّ وهكذا العلاقات الدولية"، (وكالة الأنباء السورية - سانا، ٢٣-٦-٢٠١١).

"التباس جماعي"؟ أم مقدّمة لـ "رهان تاريخي"؟

لم يكن اتّجاه التقارب و"تسارع التّاريخ" بين سورية وتركيا مجرد تداعٍ بسيطٍ أو شروعٍ في "تطبيع" العلاقات بعد نزاعٍ طويلٍ، حتّى أنّ اتّفاق أضنة (تشرين الأوّل / أكتوبر ١٩٩٨) على الرّغم من أهمّيته ورمزيّته، إلاّ أنّه لم يكن "اتّفاق تسوية" ولا "اتّفاق سلام"؛ ولا "إنهاء نزاع"؛ لقد كان "إعلان نوايا" في المقام الأوّل؛ ربّما هو إعلان "فوق العادة"، ولكن التطوّرات اللاحقة أعطته أهميّة كبيرة نسبياً، وعدّته أو جعلته "حدثاً" مؤسساً أو "نقطة تحوّل" في العلاقات السوريّة - التركيّة، إذ تبعته "سيولة" أحداث ووقائع وتفاعلات بينيّة واتّفاقات وغيرها، ممّا ذكره في فقرات وسياقات مختلفة.

وهكذا، وقف الرّئيس السوريّ بشار الأسد في إسطنبول، ليتحدّث في شهر رمضان عن "وحدة الدّم" بين السوريّين والأتراك، وعن "أبناء الوطن الواحد أو الشّريعة الواحدة"^(٢٩). كما عبّر رئيس الوزراء التركيّ رجب طيّب أردوغان عن أنّ "سورية اعتبرت القضايا التركيّة قضاياها، وكذلك الأمر بالنّسبة إلى تركيا، وبهذا الشّكل تمكّنا من مساعدة بعضنا بعضاً في حلّ مشاكلنا، والعلاقات السوريّة التركيّة قطعت شوطاً كبيراً في السّنوات السّبع الماضية، ولم يتمّ هذا الأمر على مستوى السياسيّين فقط بل على مستوى الشّعبيين أيضاً"^(٣٠).

ولكن، إذا لم تكن العلاقات مع الآخر مقصودة بذاتها، وإنّما لاستهدافات أخرى، وإذا اقتصرنا على أمور و"سكنت" عن أخرى، أي اقتصرنا على "عوامل التقارب" من دون التوصل إلى تسويات بخصوص "عوامل التّفافر"، وهي كثيرة وثقيلة وتاريخيّة، فهل نتطوي على "نقطة تحوّل" بالمعنى الذي ذكرنا؟

أساس فكرة التحوّل أو "نقطة التحوّل" هو أن تكون مستقرّةً وعلنيّةً، وقد كان من الصّعوبة بمكان تمييز ما إذا كان التحوّل في العلاقات مستقرّاً أم إجرائيّاً ومرحليّاً، وما إذا كان تلقّيه (أي المدارك حوله) مطابقاً لحقيقته وواقعه، أو ما إذا كانت لذلك مثلاً ارتباطات بالتّفاعلات الإيرانيّة - التركيّة، أو السوريّة - الإيرانيّة، أو التركيّة - الإسرائيليّة.

^{٢٩} - انظر كلمة الرّئيس السوريّ بشار الأسد في حفل إفطار حزب العدالة والتنمية الذي أقيم في فندق واو في إسطنبول بتاريخ ١٧/٩/٢٠٠٩، (الوطن، ١٨/٩/٢٠٠٩، و: تشرين، ١٨/٩/٢٠٠٩).

^{٣٠} - انظر كلمة رئيس الوزراء التركيّ رجب طيّب أردوغان في حفل إفطار حزب العدالة والتنمية الذي أقيم في فندق واو في إسطنبول بتاريخ ١٧/٩/٢٠٠٩، (الوطن، ١٨/٩/٢٠٠٩، و: تشرين، ١٨/٩/٢٠٠٩).

وكان التقارب مع سورية شرطا لازما لسياسة "العمق الإستراتيجي" التي درجَ الحديث عنها في السنوات الماضية^(٣١)، و"لكن النظرية الإستراتيجية التي رسمت في 'العمق الإستراتيجي' واجهت تحديات كبيرة وجدّية مع بدء موجة الثورات في العالم العربي"^(٣٢). هل حدث التباس ما في سياسة تركيا نفسها؟ هل وقعت تركيا في أخطاء "عميقة" في تعاملها مع "العمق الإستراتيجي"؟

يقول كاتب متخصص في الشأن التركي، لقد "استسلمت تركيا لوهم 'فائض القوة' و'فائض الثقة بالنفس' لتمارس أدوارا أقل ما يقال عنها إنها أكبر منها ولا تليق ببلد يريد أن يكون قوة إقليمية عظمى تمارس أيضا دورا عالميا في بعض القضايا. وهم فائضي القوة والثقة أوقعا تركيا في سلسلة من الأخطاء القاتلة... وفي ذلك ضربة 'عميقة' لأسس المشروع التركي في المنطقة الشرق أوسطية وليس فقط في المنطقة العربية"^(٣٣).

وهناك أمر آخر، وهو أن تركيا وإسرائيل تعملان على "تجديد" علاقتهما^(٣٤)، مدفوعتين باعتبارات اللحظة العربية وتطوراتها، وما يتعلّق بالأزمة السورية على نحو مباشر^(٣٥). وكان الموضوع السوري "ذريعة" علنية لعدم إشراك سفينة "مرمرة" التركية في "أسطول الحرية - ٢" المتوجّه إلى غزة^(٣٦)، وذلك "في مرحلة تتفرّغ فيها تركيا للموضوع السوري"^(٣٧)، ويبدو أنّ الأمر مرتبط بـ "ترتيبات" أميركية - تركية مشتركة، إذ تلقى أردوغان

^{٣١} - محمد نور الدين، "تركيا وسورية: نهاية 'العمق الإستراتيجي'"، السفير، ١٧-٥-٢٠١١.

^{٣٢} - محمد نور الدين، "تركيا: من 'العمق الإستراتيجي' إلى 'الأخطاء العميقة'"، الشرق، الدوحة، ١٤-٥-٢٠١١.

^{٣٣} - المصدر نفسه. وانظر عرضا لآراء عدد من المسؤولين والإعلاميين والمتقنين في تركيا بشأن موقف رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان من الأزمة السورية في: خليل حرب، "أردوغان يتحرش بسورية... لماذا؟"، السفير، ١٦-٦-٢٠١١.

^{٣٤} - ذكرت وكالة الأنباء الصينية الرسمية أن تركيا تقوم بوساطات مكثفة من أجل الإفراج عن الجندي الإسرائيلي "جلعاد شاليط" المحتجز لدى حركة حماس. وقد تردّد حديثاً عن احتمال تعيين وسيط تركي لحلّ المشكلة المذكورة بين إسرائيل وحماس بدلا من الوسيط الألماني غيرهارد كونراد. (دي برس، ٢٣-٥-٢٠١١). وقال رجل الأعمال الإسرائيلي من أصل تركي أليكو دونمير، إن رئيس الوزراء التركي، رجب طيب أردوغان هو الوحيد القادر على إنقاذه (شاليط). في: الأخبار، بيروت، ٧-٧-٢٠١١.

^{٣٥} - ذكرت صحيفة "زمان" التركية أن إسرائيل عرضت على تركيا المساعدة في تنسيق العمل في مخيمات النازحين السوريين في لواء اسكندرون، وتقديم مساعدات إسرائيلية. انظر:

"Israeli lawmaker seeks permission to deliver aid to Syrian refugees", *Today's Zaman*, 16-6-2011.

وانظر مثلاً:

Serkan Demirtaş, "Ankara on the eve of critical decisions on Syria, Israel", *Hurriyet Daily news*, 15-6-2011.

^{٣٦} - صرّح مسؤول إسرائيلي في ١٩-٦-٢٠١١ أن قرار حكومة رجب طيب أردوغان بعدم مشاركة سفينة "مرمرة" في "أسطول الحرية ٢"، هو قرار إيجابي ونأمل أن يساهم في إعادة علاقات طبيعية بين إسرائيل وتركيا، (الشرق، القاهرة، ٢١-٦-٢٠١١).

^{٣٧} - السفير، ٢٠-٦-٢٠١١.

من الرئيس الأميركي باراك أوباما، "تهنئة مزدوجة، الأولى بفوزه في الانتخابات النيابية، والثانية لقرار عدم مشاركة تركيا بأسطول الحرية"^(٣٨).

أما اليوم، فإن الأمور تبدو أكثر وضوحًا، وقد انكشف الغطاء الرسمي (السوري والتركي) عن الكثير مما يجري، وأصبح بالإمكان التعبير عن جوانب أخرى للعلاقات غير تلك التي أشاعتها المؤسسات الرسمية وإعلاميات النظامين اللذين انفتحا اليوم على مستوى من العنف الرمزي والكيدية السياسية بسبب اكتشاف أحدهما أن "الحبّ بينهما هو من طرف واحد"، فيما كان الآخر مُهتَمًا بأمرٍ أخرى^(٣٩).

يشكو مسؤول مقرب من النظام في سورية من "أنّ تركيا خذلتنا. وقفنا إلى جانبها في أوضاعها الصعبة. تضامناً مع حكومتها حين سقط جنود أترك قتلوا جراء الاعتداءات والمواجهات. عزّزنا دورها في الشرق الأوسط حين طرّحنا دورها للوساطة في عملية السلام. كان الرئيس الأسد يشترط بقوة على الجميع بمن في ذلك الأميركيين والأوروبيين أن تكون تركيا هي الوسيط، كرّر ذلك حتى في أوج الخلاف التركي - الإسرائيلي. بفضل سورية وإيران وسّعت تركيا دورها في المنطقة والعالم حيث تمّ إشراكها في الوساطة في الملفّ النووي الإيراني"^(٤٠).

وثمة وجه آخر للصورة، من الجهة التركية هذه المرة، فتركيا "هذه المرة، قلقة، مُرتبِكة ومُنْفَعلة، والأخطر مُنْعَزّة... سورية هذه التي شكّلت رمزاً ناجحاً لما يُمكن لتركيا أن تجنيه في المنطقة، ولما يُمكن أن يعيد إنتاج صورتها بما هو أجمل وأكثر قبولا بعيون العرب، صارت، بإرادتها الذاتية أو رغماً عنها، نقطة الانكسار المحتمل لهذا الصعود الباهر... فماذا جرى؟ ما الذي جعل الحلوى التركية تصبح مرّة؟ ما الذي جعل المرارة حادة في طعم التصريحات الصادرة بين أنقرة ودمشق، ولو على استحياء دبلوماسي؟ ما الذي جعل هذا السياسي ذاته يتململ في مقعده عندما يتحدّث عن سورية، بينما كانت ابتسامة عريضة ترسم على وجهه،

^{٣٨} - المصدر السابق.

^{٣٩} - تَرَدَّد الإعلام السوري كثيرا قبل أن يسمح بظهور ردود أفعال إعلامية أو تقييمات انتقادية لتطورات الموقف التركي من الأزمة السورية، حتى أن الصحافيين الذين يديرون الحوار كانوا يقولون في كل مرة إن ما يقال لا يعبر عن وجهة النظر الرسمية، فيما كانت تركيا الرسمية وغير الرسمية تشنّ هجوما شديدا على كيفية تعاطي النظام السياسي مع الاحتجاجات.

^{٤٠} - سامي كليب، "الزمن السوري الصعب...سباق بين الفتنة المذهبية والإصلاح"، السفير، ١٥-٦-٢٠١١.

عندما كان في الماضي القريب يحكي عنها بفخر على قاعدة أنّ ما بين سورية وتركيا من أواصر، صنعه الله؟^(٤١).

وهكذا فقد يكون موقف تركيا من الأحداث في سورية مفاجئاً بالنسبة إلى المسار الذي درجت عليه العلاقات في العقد الأخير، ولكنّه ليس خارج سياقها التاريخي (العلاقات)، كما أنّه ينسجم إلى حدّ ما مع البراغماتيّة النشطة التي اتّسمت بها سياسات تركيا وسورية، ذلك أنّ حكومة رجب طيب أردوغان وجدت من المناسب التّعاطي مع الشّأن السوريّ باعتباره "شأنًا داخليًا" تركيًّا، ومن ثمّ فقد تحوّل الموقف سريعًا من دعم الإصلاحات التي يقودها الرّئيس بشّار الأسد^(٤٢)، إلى "دعم الاستقرار" في سورية^(٤٣)، إلى "إعادة الاستقرار"، إلى المخاوف من "الحرب الطائفية و"التقسيم"^(٤٤)، إلخ، بكلّ ما ينطوي عليه ذلك من دلالات تغيير الموقف من النّظام السياسيّ القائم الذي رأت تركيا أنّه يجب أن يقوم بالتغيير الديمقراطيّ أو سينتغير هو، وأنّ على الرّئيس بشّار الأسد أن يقوم بذلك مباشرةً، تدرّجًا من التّصيحة العلنيّة والانتقادات المباشرة، إلى المطالبات والشّروط^(٤٥)، إلى الإعلان عن خطط لإقامة "منطقة عازلة"^(٤٦)، وفرض حظر جويّ^(٤٧).

وإذا لم يكن كلّ ذلك تطوّرًا حاسمًا أو "نقطة تحول" كبرى في السياسة الإقليميّة لتركيا، فربّما كنّا أقرب إلى ما أسميناه "التباسًا جماعيًا" في فهم اللّحظة السوريّة السّابقة، وأمّا التّطوّرات الرّاهنة اليوم، فتبدو أقرب إلى "رهان

^{٤١} - خليل حرب، "أردوغان يتحرش بسورية... لماذا؟"، السفير، ١٦-٦-٢٠١١.

^{٤٢} - أعرب رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان عن تأييده للمشروع الإصلاحي في سورية، وكزّر ما قال إنها "تصائح" قدّمها للرئيس السوري بشّار الأسد، ولكنه لم يستجب بالكيفية المطلوبة". أخبار العالم، ٣١-٣-٢٠١١.

^{٤٣} - قالت وزارة الخارجية التركية، إنه لا يمكن لتركيا أن ترضى أو تقبل بأيّ سلوك أو تصرّف قد يودّي إلى زعزعة الاستقرار في سورية أو يلحق الأذى بإرادة الإصلاح" فيها. بيان الخارجية التركية، ٢-٤-٢٠١١.

^{٤٤} - قال رجب طيب أردوغان (٢٠١١/٥/١٤) إن لديه "مخاوف من حدوث صدمات طائفية يمكن أن ينتقل تأثيرها إلى تركيا وخاصةً في مناطق جنوب شرق، ونحن لا نريد أن نرى ذلك... وأرجو أن تتجاوز سورية هذه المحنة المريعة بسرعة".

Hurriyet Daily News, Istanbul: 15-5-2011.

كما عبّر أردوغان عن خشيته من "تقسيم سورية". السفير، ١٦-٥-٢٠١١.

^{٤٥} - انظر مثلاً: محمد نور الدين، "تركيا وسورية: ٣ سيناريوهات"، الشرق، ٤-٦-٢٠١١.

^{٤٦} - قالت مصادر دبلوماسية تركية يوم ١١-٦-٢٠١١، إن إقامة "منطقة عازلة" على الحدود التركية - السورية لمواجهة تدفّق الأعداد المتزايدة من النازحين السوريين.. هو خيار مطروح على أجندة تركيا. وإذا شهدت تركيا صورة مشابهة لصورة الهجرة الجماعية من العراق إلى تركيا خلال فترة حرب الخليج الثانية، حيث تدفّق آلاف النازحين على تركيا، فإنّها ستضطرّ لتشكيل منطقة عازلة داخل الأراضي السورية لمواجهة الهجرة الجماعية، لكن هذا القرار وتنفيذه على أرض الواقع يحتاج لموافقة مجلس الأمن الدولي. أخبار العالم، ١٢-٦-٢٠١١. وانظر وجهة نظر تركية بهذا الخصوص في: عائشة كريات، "المنطقة العازلة السورية عن تركيا: سيناريواتها ومصاعبها"، الأخبار، ١٣-٦-٢٠١١.

^{٤٧} - محمد نور الدين، "أوباما وأردوغان يستلهمان السيناريو الليبي: منطقة حظر طيران فوق سورية؟"، السفير، ٢٣-٦-٢٠١١.

تاريخي" في داخل تركيا وخارجها، وبصورة خاصة تجاه المنطقة العربية والشرق الأوسط، وبالأخصّ تجاه سورية، التي سبق أن عدّدت العلاقات مع تركيا "خياراً إستراتيجياً" و" نموذجاً للعلاقات بين الدول". ولكنّها تجد نفسها مدفوعة إلى إجراء تغييرات شاملة في المدارك عن تركيا وفي المواقف تجاهها، والأصحّ القول الاستعداد للمواجهة الشبيكة معها.

هنا يبدو أنّ تركيا دخلت في رهان جديد^(٤٨)، لجهة التخلّي عن التّحالف مع نظام الرئيس بشّار الأسد الذي قدّم لتركيا كلّ شيء ممكن في السياسة، و"في لحظات التّشوّش الحاصلة الآن، نسي رجب طيب أردوغان أنّ بشّار الأسد منحه من الأرض ما ظلّت سورية ترفضه منذ أكثر من ٤٠ سنة في الجولان، "هذه شقيقة، وتلك عدوة، قال الرئيس السوريّ بالتأكيد"^(٤٩). وفي ذلك "قطع" مع سياسات التّقارب السّابقة لصالح طيّبة سياسية أخرى تظهُر ملامحها متسارعة، ولكنّها لاتزال "تحت التّشكيل".

ثانياً - سورية وتركيا: هل هو "رهان تاريخي"؟

الرّهان هو نوع من الفعاليّة السياسيّة الإدراكيّة، هو متابعة وتأسيس على "الحدث" أو "نقطة التحوّل"، وشرع فيما ندعوه "فترة انتقالية" في العلاقات السوريّة - التركيّة، أي أنّه شروع في "أمر ما" بداعيّة متناقضة أو متردّدة نسبياً، وذهنيّة لديها قدر محدود من اليقين (وربّما قدر غير محدود من الأمل) تجاه المآل وتجاه الخطوة التّالية، وخاصّة أنّ "الأنا" لا تعلم طبيعة التلقّي من قبل الآخر، ولا ردود أفعاله، كما أنّ مواقفه ليست نتيجة ميكانيكيّة أو انعكاساً مباشراً لإرادته. كما أنّ ثمة عوامل مؤثّرة في الدّاخل والخارج.

ويتركّز المعنى هنا في اختبار ما إذا كان موقف ما (لدى سورية أو تركيا) أو إدراك ما (لدى صانعي القرار) رهاناً، أو أصبح كذلك الآن، أو يمكن أن يكون لاحقاً؟ والرّهان بالنّسبة إلى العلاقات بين سورية وتركيا، أو لأيّ منهما، هو تعبير عن فعاليّة "تُحوميّة"، نفسيّة وسلوكيّة، وهو أصل في سياسة كلّ منهما، وليس فقط

^{٤٨} - محمد نور الدين، "تركيا وسورية: نهاية العمق الإستراتيجي"، السفير، ١٧-٥-٢٠١١.

^{٤٩} - خليل حرب، "أردوغان يتحرش بسورية... لماذا؟"، السفير، ١٦-٦-٢٠١١.

وما يتحدّث عنه خليل حرب هو أمر خلافي في سورية نفسها، وثمة اعتراضات وتحفظات جدية على سلوك الحكومة السورية بشأن ملفات الحدود (التاريخية) وجغرافيتها وأمنها، والأكراد، والمياه، واسكندرون، والاقتصاد، وأوضاع العرب والسوريين في تركيا، إلخ، وكيف أنّ النظام السياسي "سكت" عنها أو "حجر" عليها أو تعاطى معها بصورة غير مطمئنة.

ملازمًا لعلاقتها البيئية، وهو "أصل" في "الحدث" السوري - التركيّ اليوم، وملازم له، ولكنه في الواقع سابق له.

وهذا يجعل الرّهانات متداخلة إلى حدّ كبير، لأنّه من الطبيعيّ أن يراهن صانع السّياسة في سورية على أنّ علاقاته مع تركيا ستتّكس على علاقاته مع طرفٍ ثالث أو حتّى على أوضاع ما في داخل تركيا أو سورية نفسها. وهكذا فإنّ الرّهانات تتداخل كثيرًا، بل إنّها تتماهى تقريبًا، ويبقى التّمييز بينها نوعًا من الملاحظة والمتابعة المجهدة، وستكون على الأكثر نوعًا من تحديد أو تعيين إجرائي.

وما حدث خلال العقد الماضي، هو "السّكوت" عن مستوى أو جانب من الهواجس والهواجس المتبادلة. وكان من الصّعب التّعبير عنها ولو بكيفيّة "مؤاربة" وبطريقة غير رسميّة، كما أنّ المستوى الفعليّ لتطوّر العلاقات هو أقلّ ممّا تمّ التّعبير عنه. وإنّ هذه ديناميّة نشطة، ومعوّل عليها في العلاقات بين الدّول، ربّما بسبب الوعي النسبيّ بطبيعة تحولات وتحديات السّياسة الداخليّة والإقليميّة والدوليّة، وتأثير البلدين بديناميات الاختراق والتّغلغل الخارجيّ وسياسات النّظام الدوليّ والمنافسات الإقليميّة، وخاصّة ما يتعلّق بالولايات المتّحدة وأوروبا وإيران وإسرائيل وغيرها، إلى جانب التّأثيرات المحتملة للسياسات الداخليّة.

وقد تأسّس "مجلس التّعاون الإستراتيجي" عام ٢٠٠٩ قبل أن يجري حوار إستراتيجي، وانفتح الطّرفان على تفاعلات ورهانات مشتركة، ولم يفعل الكثير بخصوص الهواجس والأزمات البيئية ومصادر التّهديد القائمة والمحتملة.

إنّ التنبّه لهذا الجانب يساعد في تفسير ذلك القدر من التردّد وربّما التلكؤ بشأن المبادرات بين سورية وتركيا، في المراحل الأولى على الأقلّ. كما يساعد مثلاً في تفسير كيف تأخّر إسقاط اسم سورية من قائمة مصادر التّهديد للأمن القوميّ في تركيا حتّى ٢٨ تشرين الأوّل/ أكتوبر ٢٠١٠^(٥٠). وكيف "سكتت" سورية عن ذلك خلال عقد تقريبًا، وقد "سكت" إعلامها أيضًا عن هذا "الإسقاط"، وكأنّه أمر إجرائي أو عاديّ! وكيف "يسكت" النّظام السياسيّ السوريّ اليوم عن تفسير التحوّلات الأخيرة في الموقف التركيّ تجاه الأزمة السوريّة الرّهانة، تاركًا الأمر لعدد من الإعلاميين والمعلّقين، بغضّ النّظر عن المصداقيّة ومعايير الجودة والأداء!

٥٠ - اجتمع مجلس الأمن القوميّ في تركيا يوم ٢٨ تشرين الأوّل/ أكتوبر ٢٠١٠ لمراجعة وثيقة الأمن القوميّ المعروفة باسم "الكتاب الأحمر"، وهي وثيقة سرية، وقرر إسقاط اسم سورية (وروسيا) من قائمة مصادر التّهديد للأمن القوميّ، وعدّ إسرائيل "تهديدا رئيسا لتركيا". انظر: الأخبار، ٣٠-١٠-٢٠١٠.

وحتى لا يكون ثمة مبالغ غير محسوبة، وحتى لا تتأسس العلاقات على ما أسميناه "النباسا جماعياً"، فإن من المهم إدراج التطورات في إطار ديناميّة سياسيّة مفتوحة على المستقبل، وإبلاء "غير المتوقع" أهميّة يستحقّها في ظلّ الظروف الإقليمية والعالمية الرّاهنة. وهذا كلّه يندرج فيما ندعوه "رهانا تاريخياً".

"رهانات" سورية

حضرت تركيا بصورة مكثّفة في المشهد السياسي والاقتصادي والثقافي والإعلامي في سورية أكثر من أيّ دولة أخرى. وقد أعطى ذلك مؤشّرات "غير دقيقة" عن طبيعة العلاقات بين البلدين، وأنها تقوم على قاعدة من التوافق المتين. وقد أظهرت الأزمة السوريّة (بدءاً من آذار/مارس ٢٠١١) خلاف ذلك، ووضعت السياسة السوريّة والتركيّة أمام مسألة عميقة.

وقد احتجّ متظاهرون في مناطق بريف دمشق معروفة بصناعة الأثاث المنزليّ مثلاً، من أنّ تحرير التجارة بين سورية وتركيا كان في مصلحة الصناعات التركية^(٥١)، وأدى إلى "مصائب على الاقتصاد السوريّ، إذ تمّ إغلاق العديد من المصانع السوريّة خصوصاً في قطاع المنسوجات والمفروشات"، الأمر الذي انعكس سلبياً على النّاس، حتّى أنّ الاحتجاجات التي شهدتها مدينة سقبا [ريف دمشق] كانت "على خلفية إغلاق تلك المصانع، فهي مدينة تعتمد على صناعة الأثاث في ورشات صغيرة، وبعد غزو الأثاث التركيّ للأسواق السوريّة، تمّ إغلاق هذه الورشات"، وإن "كلّ الاحتجاجات التي قامت في سقبا كانت بسبب عطالة وبطالة العمّال الذين أغلقت ورشاتهم"^(٥٢).

وكذلك الحال في قطاع النسيج والألبسة؛ فقد أغلقت العديد من الشّركات والمنشآت تحت ضغوط المنافسة التركية^(٥٣). وأشار تجّار ورجال أعمال من حلب ودمشق ومناطق أخرى، إلى أنّ الاتّفاقات الاقتصاديّة مع

^{٥١} - مقابلات مع مواطنين سوريين في مناطق "سقبا" و"دارياً" بريف دمشق، من العمّال وأصحاب المنشآت الصغيرة التي تعمل في تصنيع "الأثاث المنزلي"، الإخبارية السورية، ٧-٤-٢٠١١. وانظر: يوسف البني، "ما يخفي خلف الاحتجاجات الشعبية في الغوطة الشرقيّة.."، قاسيون، دمشق، ٨-٥-٢٠١١.

^{٥٢} - انظر: منير الحمش، "وجهة نظر عربية في واقع وآفاق العلاقات الاقتصادية العربية - التركية"، مؤتمر العرب وتركيا: تحديات الحاضر ورهانات المستقبل، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ١٨-١٩ أيار / مايو ٢٠١١.

^{٥٣} - مقابلة مع تجّار وأصحاب منشآت وأعضاء في غرف تجارة دمشق وحلب وحمص، في: سها مصطفى، "التراجع في صناعة الألبسة والنسيج ٥٠٪"، الاقتصادية، العدد ٣٨٥ في:

http://www.iqtissadiya.com/archives_detail.asp?issue=385&id=4510&category=local

أطلّع عليه في: ٣٠-٨-٢٠١١.

تركيا لم تراع العديد من قطاعات الأعمال الصناعيّة والتجاريّة وحتى الزراعيّة^(٥٤)، وقالوا إنّ الحكومة "فشلت" في النّعاطي الإيجابي أو الجدّي معها^(٥٥)، ربّما لأنّ الجانب السياسيّ كان قوّاما على الجوانب الأخرى في رؤيتها للعلاقات مع تركيا، أو لأنّ المسؤولين الكبار ليست لديهم استثمارات أو شركات في تلك القطاعات، ما جعلها قطاعات "مهملّة".

لقد قدّمت سورية لتركيا كلّ شيء ممكن في السياسة، ولم يكن ذلك كافياً لاستمرار علاقات التّقارب معها، فما الذي حدث؟ وكيف يمكن طيّ صفحة التّقارب أو "التّحالف"؟ وهل كانت التطوّرات السّابقة في إطار رهان أكبر، أم أنّ منطق الأمور هو الذي دفع تركيا مثلاً لأن تتخذ ما تراه مناسباً حتّى لو خالف ذلك توقّعات أو أخلاقيّات "التّعاهدات" السّابقة؟

سعت السياسة السوريّة خلال العقد الماضي إلى التّأكيد أنّ "تحالفاتها" الإقليميّة توازن بين جناحين قويّين هما إيران وتركيا، "يرفعانها" ويدعمان بكيفيّة أو أخرى توجّهاتها الخارجيّة، وإن بصورة غير متطابقة. والواقع أنّ موقف تركيا من أحداث غزّة شكّل "فسحة" هامّة للدبلوماسية السوريّة، للاعتقاد أنّها تجاوزت - بعلاقاتها مع تركيا - النمطيّة العامّة التي حاول "محور الاعتدال" أن يؤطّرها بها تحت مسمّى "محور التطرّف"^(٥٦).

وقد أظهرت التطوّرات الأخيرة بشأن الأزمة السوريّة وجود إمكانيّة عمليّة (وليس فقط نظريّة) لعودة التّأزم إلى مسار العلاقات الثنائيّة عند حدوث تغييرات غير متوقّعة بينهما، أو داخل أحدهما أو كليهما، أو بسبب التّغلغل والاختراق الخارجيّ في السياسات الإقليميّة^(٥٧). وقد حضر جميع هذه العوامل والفاعّل بكيفيّة متفاوتة متفاوتة في الموقف التركيّ من الأحداث في سورية.

^{٥٤} - انظر ملاحظات عامة حول اتفاقية التجارة السورية - التركية في محاضرة نائب رئيس غرفة تجارة دمشق، في: محمد غسان القلاع، "القطاع الخاص وتحديات اتفاقيات الشراكة ومناطق التجارة الحرة"، (دمشق: جمعية العلوم الاقتصادية)، وعلى الإنترنت،

http://mafhoum.com/syr/articles_05/kalla.htm

اطّلع عليه في: ٢٠١١-٨-٣٠.

^{٥٥} - مقابلة مع تجار وأصحاب منشآت وأعضاء في غرف تجارة دمشق وحلب وحمص، في: سها مصطفى، "التراجع في صناعة الألبسة والنسيج ٥٠% الاقتصادية"، الاقتصادية، العدد ٣٨٥ في:

http://www.iqtissadiya.com/archives_detail.asp?issue=385&id=4510&category=local

اطّلع عليه في: ٢٠١١-٨-٣٠.

^{٥٦} - محفوظ، سورية وتركيا: الواقع الراهن واحتمالات المستقبل، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥٥.

^{٥٧} - المصدر نفسه، مواضع مختلفة.

وإنّ ثمة بعداً داخلياً (وثنائياً) للرهان، ذلك أنّ قضايا الحدود والنزاع التاريخي، والذاكرة السلبية لدى شرائح واسعة نسبياً من التكوين الثقافي والسياسي والاجتماعي لدى الطرفين، ربّما كانت تحت ضغوط أقلّ، وخاصةً مع توافق الطرفين على تأطير مفاهيم وسيطة وتداولية لمعاني الحدود بينهما، وهذا نوع من تأجيل الموضوع أو "حجر" عليه إلى أجل غير مسمى. وسوف نتناول في فقرة لاحقة كيف أنّ التداولية اكتسبت طابعاً تدخلياً وكانت عامل ضغط على سورية من خلال النفاذية النشطة للحدود في مناطق التوتّر مثل منطقة جسر الشّغور وأطراف لواء اسكندرون والمنطقة الشرقية.

والواقع أنّ السياسة السوريّة تتعرّض اليوم لمساءلة أكبر، على المسؤولين هنا الإجابة عن أسئلة كبيرة في هذا الخصوص، وعن رهاناتهم الخطرة ومساوماتهم بشأن عددٍ من القضايا العميقة بالنسبة إلى السياسة السوريّة، كما يجب الحديث عن الكيفيّة التي تحوّلت بها العلاقات من "نقطة تحوّل" أو من "تحالف" أو حتّى "رهان تاريخي" إلى رهان عاجل وانخراط نشط في ديناميات التدخّل والسيطرة؛ ما يحمل مخاطر وجوديّة على سورية نفسها، وليس فقط على النّظام السياسيّ الرّاهن.

ويمكن أن تتسحب المساءلة على كمّ كبير من الكتابات والتعليقات والتحليلات التي تحدّثت و"مجّدت" التقارب في العلاقات بين الطرفين. وقد وضعت التطوّرات الأخيرة كلّ التحليل السياسيّ على المحكّ، وخاصّةً ما "تجاهل" أو "سكت" عن حقيقة أنّ أكثر مفردات العلاقات الخلافيّة السّابقة لم تتغيّر ولم يحدث بشأن أكثرها أيّ اتّفاق حاسم ونهائيّ مثل: المياه والحدود والعلاقة مع إسرائيل وإيران والولايات المتّحدة (إلخ).

وما طمح إليه أو راهن عليه النّظام السياسيّ في سورية هو "التّوافق" على عددٍ من القضايا البينيّة والإقليميّة وليس الدّخول في تحالف صريح بشأنها، لأنّ تركيا أكثر انخراطاً في المنطقة يعني تغييراً في ديناميات السياسة الإقليميّة بكيفيّة تؤثّر في سورية نفسها، وهو ما يحدث اليوم.

"رهانات" تركيا

تحضر سورية في المشهد السياسيّ والإعلاميّ في تركيا بصورة أكثر تواتراً عمّا كانت عليه في الماضي، ولكن ذلك لا يُقارن بحضور تركيا في المشهد السوريّ، ويتّضح ذلك من الفروق في الوزن النسبيّ لكلّ طرفٍ لدى الآخر. وقد منحت سورية مساحة حضور واهتمام كبيرين لتركيا، سياساتها واقتصادها وثقافتها وإعلامها، إلخ. ولا تقارن بها المساحة التي منحتها تركيا لسورية. وقد أشرنا في فقرة سابقة إلى أنّ نتائج استطلاعات

الرأي في البلدين أظهرت تفاوتًا جديًا في تقييم كل طرف للآخر^(٥٨)، والفروق هي لصالح الأتراك الذين لم تختلف وضعيّة سورية كثيرا بالنسبة إليهم، حتّى مع كلّ التطوّرات الحاصلة، وهو أمر مفاجئ إلى حدّ ما.

سعت تركيا إلى تأكيد أنّ اندفاعها نحو الشرق لا ينطوي على نزعات "إمبرياليّة فرعيّة" أو "عثمانيّة" أو "إسلاميّة"، وإنّما هو اتّجاه نحو مزيد من الانفتاح على الشرق، تمثيلاً مع تغييرات في المدارك السياسيّة والمزاج السياسيّ الداخليّ، ولكن ذلك لا يمنع من تأثر الآخرين، العرب مثلاً، بما يجري في تركيا^(٥٩). كما أنّ ثمة أبعاداً داخليّةً مشابهة لما ذكرناه بخصوص سورية.

وقد كانت الاستجابة السوريّة تجاه تركيا مؤشّراً، وريماً حافزاً، لاستجابات دول الجوار الأخرى تجاهها، ذلك أنّ عوامل التنافر والعداء مع سورية كانت أكثر توتراً منها جميعاً، وقد ظهر بعدها شيء من التقارب في علاقات تركيا مع كلّ من إيران وأرمينيا وجورجيا وبلغاريا واليونان وقبرص، كما أنّ دور الوسيط بين سورية وإسرائيل ساهم إلى حدّ ما في إعطاء تركيا صورة البلد ذي المكانة الإقليميّة والقدرة على إدارة مفاوضات بين الأطراف المتنازعة^(٦٠).

وثمة وجهٌ أو بعدٌ داخليّ لذلك الرّهان، وهو انسحاب نسبيّ لما ذكر أنّه رهان سوريّ على تركيا، إلى جانب إظهار حكومة "حزب العدالة والتنمية" في موقع الاستعداد لإجراء تغييرات تجاه "أعداء الدّاخل" وليس فقط "أعداء الخارج"^(٦١). وهذا يحيل بشكل خاصّ إلى المسألتين الكرديّة والعلويّة^(٦٢).

^{٥٨} - انظر:

Kucukcanp, *Arab Image in Turkey*, & Akgün, *The Perception of Turkey in Middle East*, & Meliha Benli Altunışık, *Turkey: Arab Perspectives*.

^{٥٩} - انظر مثلاً: محمد نور الدين، "صورة تركيا لدى العرب"، الشرق، ٧-٥-٢٠١١.

وانظر رأي إبراهيم كالمين مستشار الرئيس عبد الله غول في:

Ibrahim Kalin, "On the Turkish model", *Today's Zaman*, Istanbul: 15-6-2011. & Ibrahim Kalin, "Is Turkey a model for the Arab world?", *Turkish Press*, 11-2-2011.

وانظر مثلاً رأي بثينة شعبان المستشار السياسيّة والإعلامية للرئيس بشار الأسد في حوار مع قناة التركيّة الرسميّة الناطقة بالعربيّة في ٢-٤-٢٠١١.

^{٦٠} - انظر مثلاً:

Altunışık, *The possibilities and limits*, pp. 50-53. & Bülent Aras, *Turkey between Syria and Israel: Turkey's Rising Soft Power*, *Seta Policy Brief*, (Ankara: No. 15, May 2008), 6p.

^{٦١} - انظر وقارن:

Dilek Kurban & Yilmaz Ensaroglu, *Toward A Solution to the Kurdish Question: Constitutional and Legal Recommendations*, (Istanbul: TESEV Publications, September 2010).

^{٦٢} - Martin van Bruinessen, "Turkey's AKP government and its engagement with the Alevis and the Kurds", Paper presented at the symposium "The Otherness and Beyond: Dynamism between Group Formation and Identity in Modern Muslim Societies", Tokyo University of Foreign Studies, 5-6 December 2009.

والواقع أنّ "إنجازات" العلاقات السوريّة - التركيّة تحوّلت كلّها تقريباً، ولكن ليس بسحر ساحر أو فعل تأمر، وإتّما بإرادةٍ قسديّةٍ وتخطيطٍ وتدبيرٍ، بالأحرى رهان، إلى "مداخل" تأثير وعوامل ضغط على سورية في الأزمة الأخيرة.

ونموذج ذلك مثلاً مسألة "نفاذية" الحدود. وقد أمسى السوريّون يشكون منها وكانت الشكوى تركيّة قبل ذلك، ومبدأ حمايتها الذي يقصر وجود الحراسة والأمن أو الجيش على الأتراك مقابل الدّعم اللوجستيّ من سورية، ومرونة كبيرة في حركة (أو تسلّل) النّاس والبضائع والسّلع والأفكار والسياسات، ومؤخراً الأسلحة والدّعم والإسناد الماديّ والمعنويّ للمعارضة في سورية. وقد قيل إنّ السّلطات أمسكت خلال عملها في جسر الشّغور القريبة من الحدود مع تركيا (لواء اسكندورن) خيوطاً عن تدخّل أمنيّ ودعم لوجستيّ من تركيا للمسلّحين في سورية^(٦٣).

ويظهر نموذج آخر في تأثير تركيا السياسيّ في شرائح من السوريّين من أصل تركمانيّ مثلاً، وكذلك تأثيرها في الشّارع الدينيّ القريب من الإسلام السياسيّ وتنظيم الإخوان المسلمين. وينسحب ذلك على الاستثمار المعكوس للصّراع بين سورية وإسرائيل، وقد سبق لسورية أن عيّنت تركيا "وكيلاً حصريّاً" - وسورية معتادة على هذا النوع من التّوكيلات - للتوسّط في أيّ مفاوضات غير مباشرة مع إسرائيل. وغير هذا كثير.

لقد سبقت الإشارة إلى أنّ ثمة أحيانا صعوبة في التّمييز بين ما ندعوه "التباساً جماعياً" في الرّؤية للعلاقات الثنائيّة، وما ندعوه "رهاناً تاريخياً"، وذلك لأنّ معايير الواقع والمخيال والرّهانات، وأحيانا الأيديولوجيا والأوهام، تتداخل بكيفيّة تجعل التأمّل في فواعل العلاقات السوريّة - التركيّة وتحولاتها أمراً مجهداً، ونوعاً من "رهان" آخر أمام إرادة البحث والتّحليل.

وهذا أمر يحيط الظّاهرة السوريّة - التركيّة بقدرٍ كبيرٍ نسبياً من "الغموض" و"الإرباك"، وأحياناً يبدو ذلك جزءاً ملازمًا للرّهانات المتولّدة عن الظّاهرة نفسها. وقد يصبح "غموضاً وظيفياً" بالنّسبة إلى مختلف الأطراف، حيث يساعد في تأجيل الحسم أو المواجهات، أو أنّه يترك الأمور مفتوحة على دينامياتٍ أخرى هي جزء

^{٦٣} - عاد السّجال بشأن أمن الحدود بين البلدين خلال الأزمة الأخيرة، وقد تحدّث السفير السوري في أنقرة نضال قبيلان عن أنّ البلدين يتابعان تطبيق الاتفاقات الأمنية بينهما بهذا الخصوص، وأنّ سورية سلّمت إلى السلطات التركية عدداً من المطلوبين من عناصر "حزب العمال الكردستاني" التركي، وتتوقّع من تركيا أن تقوم بالمثل من خلال تسليم المطلوبين من المسلّحين الفارين إلى تركيا من جسر الشّغور ومناطقٍ أخرى. (تصريحات، ٢٨-٦-٢٠١١).

من "خصوصية تأويلية" تفتتح على الظاهرة السوريّة - التركيّة وامتداداتها أو تداعياتها الإقليمية والدوليّة. وسوف تركز المحاور التالية على تناول الموقف التركيّ من الأزمة السوريّة.

ثالثاً - محدّدات الموقف التركيّ من الأزمة السوريّة

ظهر نوعٌ من "التوافق" بين سورية وتركيا بخصوص التطوّرات التي حدثت في تونس ومصر، وأظهر الرّئيس السوريّ بشار الأسد ورئيس الحكومة التركيّة رجب طيب أردوغان تفهماً بل تأييداً لمجريات الأمور في البلدين المذكورين، وتحديثاً عن ذلك في اجتماعهما في مدينة حلب بعد وضع حجر الأساس لبناء "سدّ الصداقة" على نهر العاصي في ٦-٢-٢٠١١^(٦٤). وذكر أردوغان في تعليقاته الأولى على الأحداث في سورية أنّه خلال الاجتماع المذكور مع الرّئيس بشار الأسد جاء على ذكر الإصلاحات في سورية وأهميّة ذلك.

وقد عبّرت تركيا عن تأييدها للاحتجاجات والأحداث الأخيرة، على أنّها تعبير سياسيّ وسلميّ للمطالبة بالتغيير الديمقراطيّ والإصلاح، وأنّ الرّئيس بشار الأسد لديه سياسات إصلاحية، يجب أن تتوافق مع، بل أن تكون استجابة للمطالب بالتغيير. وأن يكون التّعاطي مع التّظاهرات إيجابياً، وأنّ التّأخير ينطوي على مخاطر جدية للنّظام السياسيّ في سورية، كما لتركيا نفسها، بسبب ما تحدّث عنه الأتراك من عوامل الجوار الجغرافيّ والسياسيّ والتّدخل في البنى الأثنيّة، إلخ.

وقالت تركيا إنّها قدّمت "تصائح" بالتغيير، ولكن الاستجابة - حسب تصريحات مختلفة ومتواترة- لم تكن بالمستوى المطلوب، وبما أنّ الأمور تطوّرت على نحو ما بدا في الفترة الماضية، فإنّ على النّظام السياسيّ أن يستعجل الاستجابة للمطالب المحليّة (والدوليّة) بالتغيير السّريع، وإلا فإنّ ثمة احتمالاً لحدوث تطوّرات قد لا تحمد عقباها، كما أنّ العنف لن يكون مبرّراً أو مقبولاً، وأنّ تركيا ستقوم بما ينبغي القيام به في حال اندلعت صدامات أثنيّة أو طائفية أو حدث المزيد من العنف بين القوى الأمنيّة وبين المعارضة أو تحوّلت سورية إلى "دولة فاشلة". وتتعاوى تركيا مباشرة مع المعارضة السوريّة، بدءاً من دعوة المعارضة السوريّة

^{٦٤} - أعلنت تركيا تأجيل بناء "سدّ الصداقة" على نهر العاصي على الحدود ما بين سورية وتركيا، بسبب الاحتجاجات التي اندلعت في سورية. وذكرت "مؤسسة أعمال المياه التركيّة" أنّ مشروع بناء السد يسير بوتيرة بطيئة بعد أن بدأت أشغاله في ٦-٢-٢٠١١ إثر تأجيل طويل بسبب خلافات بشأن تفاصيل فنية. وكان البلدان أعلنوا موافقتهم على إقامة السدّ وقرّر الجانبان قصر استخدامه على أغراض الريّ وتجنّب الفيضانات. (السفير، ٤-٧-٢٠١١).

(الإخوان المسلمون وأطراف أخرى) للعمل انطلاقاً من تركيا، ومتابعة نشاطاتها على مقربة من الحدث في سورية.

يطرح الموقف التركيّ من الأحداث في سورية أسئلة عديدة من حيث طبيعته ومحدّداته. ولماذا يتّخذ شكلاً انتقاديّاً حادّاً؟ ولماذا يمارس الأتراك هذا القدر من التدخّل الصّريح في الشّأن السوريّ؟ وهل يعني ذلك نهاية حقبة التقارب أو التحالف بين البلدين؟

يمكن النظر في محدّدات عامّة لهذا الموضوع، وذلك على المستويات الرّئيسة التالية: البيئة الدوليّة، والبيئة الإقليميّة، والبيئة الثنائيّة، والبيئة الداخليّة.

١ - البيئة الدوليّة:

يتحدّد تأثير البيئة الدوليّة بطبيعة مواقف كلّ من الولايات المتّحدة وأوروبا، وتوافق الموقف التركيّ معها في قراءة الموضوع السوريّ. وتواصل تركيا التنسيق مع الولايات المتّحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وغيرها، من أجل "تهيئة" ملفّ سورية لعرضه على مجلس الأمن الدوليّ، ومتابعة الضغوط السياسيّة والأمنيّة والاقتصاديّة والإعلاميّة على النظام السوريّ في إطار خطط مُنّهجة لـ "إسقاطه". ويمكن تركيز تفاعلات تركيا على هذا الصّعيد في النقاط التّالية:

- جرت اتّصالات بين رئيس الحكومة التركيّة رجب طيب أردوغان والرئيس الأميركيّ باراك أوباما بشأن التنسيق بين الجانبين في الموضوع السوريّ، واتّفقا على القيام بعمل مشترك في مجلس الأمن. كما تناولت الاتّصالات بين أوباما وأردوغان مسألة إقامة منطقة حظر طيران فوق سورية "لحماية المدنيين من قمع النظام"، والعمل على تحرك دوليّ جادّ في اتّجاه مماثل لتحرك مجلس الأمن الدوليّ تجاه ليبيا^(٦٥).

- تعمل تركيا على صعيد المؤسسات الدوليّة، مثل مفوضيّة اللاجئين ومفوضيّة حقوق الإنسان، لتكون مؤسسات مساعدة أو مشاركة بكيفيّة أو أخرى، ويمكن لتركيا أن تستعين بها - وبأطرافٍ أخرى - للتدخّل في الأزمة السوريّة.

- يعدّ حلف الناتو الذراع العسكريّة المحتملة لأيّ نشاط أو تدخّل تركيّ لإقامة ما يسمّى "ملاذات أمنة"^(٦٦)، ربّما تكون "قاعدة انطلاق" أو "تهيئة" لمسار مشابه للسّيناريو الليبي^(٦٧). وهنا يمكن أن

^{٦٥} - السفير، ٢٣-٦-٢٠١١.

^{٦٦} - انظر مثلاً:

Soner Cagaptay, "A Turkish Buffer Zone Inside Syria?", *Hurriyet Daily news*, 3-7-2011.

يكون تدخل حلف الناتو مباشرة في حال عدم توافر مظلة دولية، أو حتى قيام الناتو بأعمال عسكرية بناءً على "تفويض" من مجلس الأمن. وقد عبرت وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون عن قلق بلادها من وجود قوات عسكرية سورية على حدود الناتو، وحذرت من مواجهات محتملة بين سورية وتركيا، لن يكون الناتو بعيداً عنها^(٦٨).

- يؤشر البيان الرئاسي لمجلس الأمن في ٢ آب/ أغسطس ٢٠١١ بشأن الأزمة في سورية^(٦٩) (وعدم اعتراض روسيا ودول أخرى عليه) على تحولات محتملة في المواقف الدولية - وخاصة موقف روسيا - تجاه الأزمة السورية^(٧٠). وقد أعقب ذلك تصريح للرئيس الروسي ميدفيدف حذر فيه من "مصير حزين للرئيس السوري"^(٧١)، وبيان من وزارة الخارجية الروسية (٩-٨-٢٠١١) طالب السلطات السورية بوقف العنف، مشيراً إلى أنّ موقف روسيا قد يتغير إذا فشل الحوار والإصلاح^(٧٢).

- قال المتحدث باسم وزارة الخارجية الأميركية "مارك تونر" (٨-٨-٢٠١١) إنّ وزيرة هيلاري كلينتون تحدثت هاتفياً مع نظيرها التركي أحمد داوود أوغلو، وطلبت منه نقل رسالة أميركية مفادها، أنّ على سورية "أن تعيد فوراً جنودها إلى ثكناتهم وأن تطلق سراح جميع المعتقلين"^(٧٣). وأجرى المسؤول عن الملف السوري في وزارة الخارجية الأميركية، "فريدريك هوف" (٨-٨-٢٠١١) في أنقرة سلسلة محادثات بشأن آخر التطورات في سورية والمنطقة^(٧٤). وذلك قبل يوم واحد من زيارة وزير الخارجية التركي أحمد داوود أوغلو إلى سورية (٩-٨-٢٠١١).

- انطوت زيارة وزير الخارجية التركي أحمد داوود أوغلو إلى سورية ولقاؤه الرئيس بشار الأسد في ٩-٨-٢٠١١، والتحديات والتجاذبات التي رافقتها، على استخلاص رئيس هو أنّ تركيا مخولة من

^{٦٧} - قال وزير الخارجية التركي أحمد داوود أوغلو إنه حمل رسالة إلى الرئيس السوري بشار الأسد، بأن عليه إنهاء العنف ضد المتظاهرين والاستجابة لمطالب الشعب، وإلا فإنه سيواجه عزلة دولية ومصيراً مشابهاً لنظام الرئيس الليبي معمر القذافي. (Today's Zaman, 9-8-2011). وشبهه رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان الموقف في سورية بالوضع في ليبيا، وقال: "فعلنا ما بوسعنا بشأن ليبيا لكننا لم نستطع تحقيق أي نتائج... والآن يحدث الموقف نفسه في سورية". (Anadolu Agency, Ankara: 17-8-2011).

^{٦٨} - طالبت وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون سورية بسحب قواتها من مناطق قرب الحدود مع تركيا، لأنّ "وجود القوات السورية هناك سوف يؤدي إلى تفاقم أوضاع اللاجئين على الحدود السورية التركية". (أخبار العالم، ٢٤-٦-٢٠١١).

^{٦٩} - وسام كنعان ومحمد الشلبي، "بيان مجلس الأمن يعيون المعارضة والسلطة"، الأخبار، ٦-٨-٢٠١١.

^{٧٠} - سامي كليب، "مسلحو سورية والموقف الروسي"، السفير، ٥-٨-٢٠١١.

^{٧١} - الأخبار، ٦-٨-٢٠١١.

^{٧٢} - الحياة، ١٠-٨-٢٠١١.

^{٧٣} - السفير، ٩-٨-٢٠١١.

^{٧٤} - المصدر نفسه.

الولايات المتحدة وأوروبا بالتفاوض مع النظام السوري، أو على الأقل نقل رسائل مختلف الأطراف إليه^(٧٥).

- بحث الأمين العام للأمم المتحدة "بان كي مون" مع وزير الخارجية التركي "أحمد داوود أوغلو" هاتفياً المستجدات في سورية. وأخبر الوزير التركي الأمين العام للأمم المتحدة معلومات بشأن لقاءاته الأخيرة في دمشق في ٩-٨-٢٠١١^(٧٦).

- درست تركيا على نطاق واسع إمكان التدخل في الأزمة السورية تحت عنوان "التدخل الإنساني"، وقد كان ذلك في صلب الاتصالات الهاتفية التي تجري بين رئيس الحكومة التركي رجب طيب أردوغان والرئيس الأميركي باراك أوباما^(٧٧).

٢ - البيئة الإقليمية:

تتحدد طبيعة السياسة التركية بشأن "المكانة" وقدرتها على التأثير المعنوي أو السياسي في مجريات الأمور في سورية، ليس فقط انطلاقاً من علاقاتها الجيدة معها، وإنما أيضاً انطلاقاً من مكانتها الإقليمية ومحاولتها إثبات مقدرة جدية للتأثير المُقرَّر والمُرجَّح وربما الحاسم في المواقف والسياسات، وهذا ينسجم مع ما تحاول تركيا تصديره أو ترويجه من "مكانة" إقليمية ودولية نشطة وفاعلة.

ويحدث ذلك في وجود ثلاثة مصادر منافسة أو تهديد إقليمية تتمثل في إيران و"العرب" وإسرائيل، وهي محاور أو أقطاب نشطة، ولكنها متفاوتة التأثير في الوضع الإقليمي. أما تركيا فتجد أنها أكثر الأقطاب قوة أو قدرة على التأثير في السياسات الإقليمية (والدولية) بسبب قوتها وقابليتها النسبية للتأثير في الأطراف جميعها. وقد تكون تركيا ثاني قوة إقليمية (بعد إيران) لديها وزن معنوي وقدره تأثير في سورية، ولكنها تحاول أن تكون القوة الأولى^(٧٨).

- إسرائيل:

^{٧٥} - صرَّح مصدر تركي رفيع المستوى - طلب عدم ذكر اسمه - إلى صحيفة "حرييت" ٤-٨-٢٠١١ أن رسالة عبد الله غول إلى الأسد، التي وُصِفَتْ بـ"الإنذار"، كانت واضحة في اتجاه أنه إن لم يبادر إلى خطوات الانتقال إلى الديمقراطية، فإن تركيا ستنتقل إلى "مرحلة التدخل الدولي". وقال المصدر إن تركيا ستبدأ بعقوبات اقتصادية وتصل إلى خفض العلاقات الدبلوماسية مع دمشق، ومن بعدها ستكون أنقرة مستعدة لدعم المعارضة السورية وحتى إنشاء حزام أمني على الحدود السورية. وأضاف أن التدخل العسكري التركي في سورية ليس مستبعداً، لكن في إطار قرارات دولية يتخذها مجلس الأمن الدولي. (السفير، ١٥-٨-٢٠١١).

⁷⁶ - Anadolu Agency, 17-8-2011.

^{٧٧} - "تركيا تلوح مجدداً بتدخل عسكري"، السفير، ١٥-٨-٢٠١١.

^{٧٨} - انظر وقارن:

Nihat Ali Özcan, "Turkey-Syria-Iran triangle is being redrawn", *Hurriyet Daily news*, 22-6-2011.

شكّلت مراجعة العلاقات بين تركيا وإسرائيل الاستجابة التركيّة النشطة لمواجهة احتمالات "التطوّرات العربيّة"، ومن ثمّ فهي فرصة لموازنة أخرى جديدة، كما أنّ رفع وتيرة العلاقات الأمنيّة والاستخباراتيّة هو من الأمور الحساسة لتركيا مع احتمال عودة الملفّ الكرديّ في الدّاخل. وتبدو إسرائيل مستعدّة للقيام بما يساعد تركيا في هذا الشأن. وهذا يرتبط أيضاً بأمورٍ أخرى عديدة.

وتعدّ عودة العلاقات بين تركيا وإسرائيل إلى سابق عهدها قبل أحداث "سفينة مرمرة"، مسألة حاسمة في السياسة الخارجيّة التركيّة، وربّما كانت هي "المعادل الموضوعي" لتدهور العلاقات مع سورية، وليس الأمر تعويض فاقد وإثما إعادة توزيع أوراق السياسة وتدوير زواياها، وخاصّةً في ظلّ التنسيق عالي المستوى بين تركيا والغرب - الولايات المتّحدة على نحو خاصّ - بشأن الأزمة السوريّة وتطوّرات المنطقة العربيّة.

وكان الإعلان، الذي جاء بعد الانتخابات، عن عدم مشاركة سفينة "مرمرة" وأي سفينة تركيّة أخرى، أو أيّ ناشط تركيّ في "أسطول الحرّية - ٢"، مؤشراً جدياً عن أنّ تركيا أعادت ترتيب أولويّات السياسة الخارجيّة بتركيز الجهود وحشد القوى الإقليميّة والدوليّة من أجل إدارة الموقف تجاه الأزمة السوريّة. وهنا يبرز السّؤال التالي: "لماذا غاب الأتراك عن "أسطول الحرّية - ٢"؟^(٧٩) يتحدّث الأتراك عن أسباب عديدة، مثل وجود أسباب تقنيّة، والتّركيز الكليّ على جهود الإغاثة في مخيّمات اللاجئين السوريين في لواء إسكندرون، واستقلاليّة منظمة الإغاثة عن الحكومة، إلخ. ولكن الأسباب الحقيقيّة ربّما تكمن في مكان آخر، وهو الحاجة إلى عودة العلاقات مع إسرائيل، وتدخلّ الولايات المتّحدة في جهود الوساطة بين الطرفين.

وقد ظلّ الحديث مقتصرًا على تسريبات صحفية واعترافات "خجولة" بوجود وساطات لإبرام المصالحة بين الحليفين السابقين^(٨٠)، إلى أن أُلغيت المشاركة التركيّة في "أسطول الحرّية - ٢". وكان قرار إلغاء المشاركة التركيّة أكثر من مؤشّر جديّ على ما ذكرنا أعلاه، بدليل ترحيب الولايات المتّحدة وإسرائيل بالقرار التركيّ واحتفائهما به^(٨١).

^{٧٩} - انظر وقارن: "لماذا لن تشارك 'مرمرة' في 'أسطول الحرّية ٢'؟"، السفير، ٢٠-٦-٢٠١١.

وانظر: عائشة كاربات، "لماذا غاب الأتراك عن 'أسطول الحرّية ٢'؟"، الأخبار، ٢-٧-٢٠١١.

^{٨٠} - كشفت صحيفة "هآرتس" الإسرائيليّة، في عددها الصادر في ٥-٧-٢٠١١، أن تركيا وإسرائيل تُجريان منذ أسابيع، اتصالات سرّيّة مباشرة في محاولة لإنهاء الأزمة بينهما. وتجرى المحادثات من خلال قناتي حوار: الأولى بين مبعوث (لم تذكر اسمه) من رئيس الحكومة الإسرائيليّة بنيامين نتنياهو، والمدير العام لوزارة الخارجية التركيّة فريدون سينير أوغلو. أمّا قناة الحوار الثانية، بحسب المصدر نفسه، فقد فتحت بين المندوب الإسرائيليّ في لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة يوسف تشخنوبر، والمندوب التركيّ أوزدام سانبرك. (الأخبار، ٦-٧-٢٠١١).

^{٨١} - "مسؤول إسرائيلي: إسرائيل مستعدّة للتعاون مع تركيا لطّي صفحة السفينة 'مرمرة'، الأهرام، ٢٤-٦-٢٠١١. وقامت الإدارة الأميركيّة خلال عدة أشهر بإجراء اتصالات على مستويات عليا مع الحكومة التركيّة، بهدف إحباط توجه أسطول تركي جديد إلى قطاع غزة، بالإضافة إلى دفع الأتراك لتحسين العلاقات مع إسرائيل. (في: الأخبار، ٦-٧-٢٠١١).

والواقع أنّ ثمة مقاصد فلسطينية أيضاً، إذ تتقدّم تركيا نحو إسرائيل، مبتعدةً عن سورية (بنظامها السياسيّ الزاهن)، ليس لأغراض أو استهدافات تخصّ سورية فقط، وإنّما أيضاً ثمة استهدافات فلسطينية. وقد وعد الرئيس الأميركيّ باراك أوباما رئيس الحكومة التركيّة رجب طيب أردوغان بأن يكون ثمة دورٌ لتركيا في المسألة الفلسطينية - الإسرائيلية تعوّض "خسارتها" بفتح معبر رفح وتغيير النّظام في مصر^(٨٢).

ولكنّ الأسلوب والكيفيّة مهمّان بالنّسبة إلى عودة العلاقات، ماذا عن الملفّات العالقة، مثل تقرير لجنة التحقيق الدوليّة حول أحداث السفينة؟ وهل ثمة إمكانيّة للتوصّل إلى تسوية؟

لا يبدو أنّ الوساطة الأميركيّة ولا الحاجة المتبادلة لدى الطرفين، مكنتهما من تجاوز حادثة "مرمرة"، على الرّغم من المفاوضات العديدة بينهما، ولا تبدو إسرائيل مستعدّة لـ"الاعتذار ودفع التّعويضات"^(٨٣)، كما لا تبدو تركيا مستعدّة للتراجع عن مطلبها الرئيس^(٨٤). ولكن كلّ ذلك لا يعيق التّبادل التجاري^(٨٥) وعودة التّسيق الأمنيّ والاستخباراتيّ^(٨٦).

وقد أظهر تقرير لجهاز المخابرات التركيّ قدّمه رئيسه الجنرال "حقان فيدان" إلى رئيس الحكومة رجب طيب أردوغان أنّ سورية وإيران أوقفتا تعاونهما الاستخباراتيّ مع تركيا في مجال مكافحة "الإرهاب". فقد رفضت إيران تقديم المعلومات الاستخباراتيّة لتركيا بصدد العمليّة العسكريّة التي قامت بها لتصفية أعضاء منظمّة "بيجاك" الكرديّة، كما أنّ سورية قطعت تعاونها مع تركيا في مجال مكافحة الإرهاب مع تصاعد الأحداث في سورية، وقال التقرير إنّ سورية تقدّم "الدّعم لمنظمّة حزب العمّال الكردستانيّ، حتّى أنّها بدأت تستضيف بعض قادة المنظمّة كما كان الوضع قبل عام ١٩٩٩". واعتبر التقرير أنّ "إسرائيل أفضل دولة تقوم بالتّعاون

^{٨٢} - جدّدت إسرائيل و تركيا تعاونهما الأمني والعسكري. وقال موقع "ديكا" الاستخباري الإسرائيلي، إن نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي موشيه يعلون زار تركيا، والتقى سرا مع رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان، ومع رئيس المخابرات التركية فيدان حاكمان. وفي مقابل هذه العودة إلى التعاون، وافق ننتانيا هو الرئيس الأميركي أوباما على ثمن سياسي يقضي بأن تأخذ تركيا حصّة في المفاوضات السياسية الفلسطينية الإسرائيلية، وأن توافق إسرائيل على دخول حماس في اللعبة. وقد قال أردوغان للرئيس أوباما: إن لدي فرصة جيدة للتأثير في موقف خالد مشعل إيجابياً، فيما يخصّ موقفه من إسرائيل. (القبس، ٢٦-٦-٢٠١١).

^{٨٣} - "إسرائيل ترفض الاعتذار عن مجزرة سفينة مرمرة الزرقاء وتقتصر تقديم تعويضات"، السفير، ٢٤-٦-٢٠١١. و: "واشنطن تضغط وإسرائيل ترفض تقديم اعتذار لتركيا عن جريمة "مرمرة"، السفير، ١٨-٨-٢٠١١.

^{٨٤} - "أردوغان: لا تطبيع مع إسرائيل قبل اعتذارها عن مجزرة "مرمرة"، السفير، ٩-٧-٢٠١١.

^{٨٥} - كشفت صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية بالاستناد إلى إحصائية لاتحاد المصدرين الإسرائيليين عن أن حجم صادرات إسرائيل إلى تركيا ارتفع بنحو ٤٠% في النصف الأول من عام ٢٠١١، مقارنة بالفترة نفسها من العام السابق. وتعدّ تركيا سادس أكبر مستورد للصادرات الإسرائيلية بعد تحقيق نموّ بلغ نحو ٧٢%، وهو أعلى نسبة للنموّ في حجم الصادرات لهذا العام، مقارنة بالفترة نفسها من العام المنصرم. (في: أخبار العالم، ٢٦-٨-٢٠١١).

^{٨٦} - القبس، ٢٦-٦-٢٠١١.

مع تركيا في مجال مكافحة الإرهاب، وبدأت بتقاسم بعض المعلومات الاستخباراتية مؤخرًا برغم الأزمة القائمة بين الدولتين^(٨٧).

وكان جهاز المخابرات التركي قدّم تقريرًا استخباراتيًا خلال اجتماع "مجلس الأمن القومي التركي" في ٢٤ - ٢٠١١، قال فيه إن "حزب العمال الكردستاني يقيم علاقات مع إسرائيل، وإن بعض عناصره اعترفوا بأنهم تلقوا تدريبًا على يد مسؤولين في جهاز "الموساد". وأن لدى المخابرات التركية مشاهد فيديو لمقابلة مع المسؤول الثاني في حزب العمال الكردستاني مراد قراييلان يقول فيها، إن الحزب وإسرائيل عملا معًا أثناء حادثة سفينة "مرمرة". وذكر تقرير المخابرات التركية أن حزب العمال الكردستاني وإسرائيل قاما بتنسيق بعض الهجمات التي نفذها الحزب^(٨٨).

- العرب

تبدو الدول العربية قريبة جدًا من تلقّي التأثير التركي، ربّما بسبب الإحساس بالفارق في القوة المادية والمعنوية، أو لموازنة التأثير الإيراني المحتمل في المنطقة، أو لقوة تركيا وقربها من الغرب وإسرائيل، ولأنّها مصدر غير عربيّ ومن ثمّ فهي أكثر أمانًا بالنسبة إلى عدد من النظم العربية، أو بسبب توجه الغرب لإعطاء تركيا موقع الزعامة في المنطقة كـ"جائزة ترضية" عن العضوية في الاتحاد الأوروبي^(٨٩).

وقد برز التنسيق بين تركيا وعدد من الدول العربية مقدّمة لمزيد من الانخراط المشترك في الأزمة السورية^(٩٠)، وذلك بعد تردّد طويل في الدخول العلنيّ على الخطّ. وسبق لتركيا والولايات المتحدة وأطراف أخرى أن حثّت الدول العربية على انخراط متزايد في المسألة السورية^(٩١). وكانت الدول العربية متردّدة في التعاطي مع الأزمة السورية، تاركةً المهمة لتركيا والغرب، ولكنها ما لبثت أن أعلنت مواقف متصاعدة بدءًا من بيان مجلس التعاون الخليجيّ، وموقف الملك عبد الله بن عبد العزيز في الكلمة التي وجهها إلى النظام في سورية.

^{٨٧} - "تقرير للاستخبارات التركية حول الإرهاب: إسرائيل أفضل المتعاونين برغم الأزمة"، السفير، ٣٠-٨-٢٠١١.

^{٨٨} - "Intelligence report reveals links between PKK, Israel", *Today's Zaman*, 8-3-2011.

وانظر تفاصيل أخرى عن العلاقة المفترضة بين حزب العمال الكردستاني وإسرائيل، في:

"Turkey is common enemy,' PKK member tells Israel", *Hurriyet Daily news*, Istanbul: 22-9-2010. & Itai Anghel, "PKK leader: Israel is helping Turkey to destroy us", *Haaretz*, 22-9-2010.

^{٨٩} - انظر وقارن: علي بولاتش، "فكرة 'النموذج التركي'"، زمان، ١١-٣-٢٠١١.

^{٩٠} - "داود أوغلو يهاتف نظيره الإماراتي حول الأوضاع في سورية وليبيا"، أخبار العالم، ١٢-٨-٢٠١١. وأيضا: لقاء جدة بين عبد الله وعبد الله... يعيد "ضبط" الإيقاع التركي!، الوطن، ١٦-٨-٢٠١١.

^{٩١} - "إشارات سورية متناقضة تلي المواقف العربية... والزيارة التركية"، السفير، ٩-٨-٢٠١١.

وعلى الرّغم من حساسيّة السّعودية تجاه موجة التّغيير في المنطقة، إلا أنّها بحسابات معقّدة ربّما وجدت أنّ "مزايا ضرب الصّلة مع إيران تفوق سلبيّات قيام ديمقراطيّة جديدة في سورية"^(٩٢)، في حال أفضت الأمور إلى دولة ديمقراطيّة مستقرّة. ومن المحتمل أنّ السّعوديّة "ترى في الوضع الحاليّ للأسد فرصة لتوجيه ضربة إلى إيران حتّى وإن كان النّمن تقويض حكم [الرئيس بشّار] الأسد مع احتمال حدوث فوضى في بلد يقع في قلب الأمتّة العربيّة"^(٩٣). ويقول معلقون سعوديون "إنّ التّحذيرات التي أطلقها الملك عبد الله مهّدت الطّريق أمام ممارسة المزيد من الدّول ضغوطا على النّظام السوريّ مع ترك هامش له لتجنّب الانهيار"^(٩٤).

تتسحب القراءة السّعوديّة للأزمة في سورية - بكيفيّة أو أخرى - على مواقف عربيّة أخرى، ويأتي في هذا السّياق إعلان عدد من الدّول العربيّة (السّعودية، البحرين، الكويت، تونس، إلخ) سحب سفرائها من سورية، وإصدار وزراء الخارجيّة العرب بيانهم بشأن الأزمة السوريّة في ٢٨-٨-٢٠١١ (سيأتي تفصيل الحديث عنه لاحقا)، والحديث عن "مبادرة عربيّة" لحلّ الأزمة في سورية.

وكانت الدّول العربيّة متخوّفة من التّداعيات المحتملة للأزمة السوريّة على المنطقة العربيّة والشرق الأوسط، أو منشغلة بأوضاعها ومخاوفها الداخليّة، أو أنّها انتظرت اللّحظة الإقليميّة والدوليّة الملائمة، وخاصّة أنّ الوضع السوريّ معقّد ويتداخل مع مشكلات وقضايا إقليميّة ودوليّة عديدة^(٩٥).

ويبدو أنّ الولايات المتّحدة وأوروبا وتركيا تكفّلنا بطمأنّة الدّول العربيّة و"تشجيعها" لاتّخاذ مواقف أكثر حدّة في هذا الخصوص. والواقع أنّ حسابات السّياسة العربيّة، وتعقيدات المسألة السوريّة هي عوامل "إعاقة" ما لبثت تطوّرات الأمور أنّ "دلّلتها" من خلال "إنهاك" سورية أو "إجهادها" بسلسلة من الضّغوط والإجراءات السّياسيّة والاقتصاديّة والإعلاميّة والأمنيّة، إلخ، ما يجعل "إسقاط" النّظام في سورية - من هذا المنظور - أمرا مُرجّحا أكثر ممّا كانت الحال عليه في بداية الأحداث (آذار/ مارس ٢٠١١).

ورأت وزيرة الخارجيّة الأميركيّة، هيلاري كلينتون، أنّه سيكون من الأفضل والأكثر فاعليّة أن تقوم تركيا والسّعوديّة بدعوة الرّئيس السوريّ بشّار الأسد إلى التّحتي، بدلا من أن تقوم الولايات المتّحدة بذلك. وأشارت كلينتون إلى أنّه "في حال قامت تركيا أو العاهل السّعوديّ بذلك، فإنّ نظام الأسد لا يستطيع تجاهله"، لأنّ

^{٩٢} - "السّعودية" تنقلب "على سورية"، السفير، ١٠-٨-٢٠١١.

^{٩٣} - المصدر نفسه.

^{٩٤} - المصدر نفسه.

^{٩٥} - كريستوف دو روكفوي، "ماذا التزم العرب الصّمت حيال الأزمة السوريّة؟"، ميدل إيست أونلاين، ٦-٥-٢٠١١.

تركيا والمملكة العربية السعودية ودولا أخرى لها تأثير في بشار الأسد أكثر ممّا لدى الولايات المتحدة التي "بالكاد تقيم علاقات مع سورية"^(٩٦).

ويندرج انخراط جامعة الدول العربية على خطّ الأزمة في سياق التفاعل بين عدد من الدول العربية وتركيا (وأطراف أخرى)^(٩٧). ويتأتّى ذلك من إدراك تركيا والغرب المتزايد أنّ الضغوط على سورية تتطلب إطاراً أو سياقاً عربياً، ربّما على غرار ما حدث مع الأزمة في ليبيا^(٩٨). وجرى تنسيق بين تركيا والجامعة العربية من خلال الاتّصالات واللقاءات بين وزير الخارجية التركي "أحمد داوود أوغلو" و"نبيل العربي" أمين عامّ الجامعة العربية.

وقال العربي خلال لقائه بالوزير التركي أوغلو (٢-٧-٢٠١١)، "إنّ تركيا لها دور تاريخي في المنطقة، ونرجو أن يستمرّ هذا الدور ويتعاضد، والتعاون بين الجامعة العربية وبين تركيا سوف يستمرّ... وإنّ المنطقة تمرّ بظروف صعبة جدّاً، وهناك حاجة للمشاركة والدعم التركي"^(٩٩).

وقد وجد العربي "أنّ تداعيات الأزمة الرّاهنة التي تمرّ بها سورية تهدّد ليس فقط سورية وإنّما أمن المنطقة واستقرارها"^(١٠٠). وطالب ببدء حوار جدّي لإجراء مصالحة، لأنّ "ما يجري في سورية يقلق الجامعة العربية ويقلق الدول كلّها، لأنّ سورية دولة قديمة ودولة توجد فيها مؤسسات ولها دورٌ ومركزٌ في المنطقة ونرجو أن تتمكّن من التغلّب على (الأزمة الرّاهنة) بوسائلٍ سلمية وبدء حوار جدّي لإجراء المصالحة المطلوبة من أفراد الشعب"^(١٠١).

وقد وجّه نبيل العربي - في تطوّراتٍ لاحقة - انتقاداتٍ شديدة، وإن كانت ضمنيّة، للسلطات السوريّة^(١٠٢)، وأصدر بياناً إثر اجتماع طارئٍ لوزراء الخارجية العرب لمناقشة الأزمة السوريّة، دعا إلى "احترام حقّ الشعب السوريّ في الحياة الكريمة الآمنة وتطلّعاته المشروعة نحو الإصلاحات السياسيّة والاجتماعيّة"^(١٠٣).

^{٩٦} - اليوم السابع، ١٧-٨-٢٠١١.

^{٩٧} - السفير، ٢٩-٨-٢٠١١.

^{٩٨} - "تركيا تشبه الموقف في سورية بما حدث في ليبيا"، الاتحاد، ١٨-٨-٢٠١١.

^{٩٩} - الأهرام، ٣-٧-٢٠١١.

^{١٠٠} - السفير، ١١-٨-٢٠١١.

^{١٠١} - "إشارات سورية متناقضة نلي المواقف العربية... والزيارة التركية"، السفير، ٩-٨-٢٠١١.

^{١٠٢} - السفير، ٢٩-٨-٢٠١١.

^{١٠٣} - الحياة، (٢٩-٨-٢٠١١). ورفضت سورية البيان المذكور، لأنه تضمّن لغة غير مقبولة وتتعارض مع التوجّه العامّ الذي ساد الاجتماع، وتتناقض مع طبيعة وغايات المهمة التي كلف بها الأمين العام للجامعة، ولأنّ الاجتماع انتهى بالاتفاق على عدم صدور أيّ بيان أو الإدلاء بأيّ

- إيران:

ترى إيران أنّ سورية مستهدفة من الغرب لأسبابٍ تتعلّق بتحالفها معها، ودعمها للمقاومة في لبنان وفلسطين، وأنّ الغرب وحلفاءه في المنطقة يركبون موجة الاحتجاجات والمطالب المشروعة للمواطنين من أجل إسقاط النظام في سورية. ويرى الإيرانيون أنّهم مستهدفون من تغييرات محتملة في سورية تكون معادية لإيران و"حزب الله" في لبنان. ويتجلى الموقف في النقاط الرئيسية التالية:

- تأييد وجهة النظر السوريّة الرسميّة عن الأبعاد الخارجيّة للأزمة، وقد وصّف المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي الاحتجاجات في سورية بـ "نسخة مزيفة للثورات العربيّة، وأنها "من صنع الولايات المتّحدة الأميركيّة"^(١٠٤). وقالت صحيفة "صبح صادق" الناطقة باسم الحرس الثوريّ الإيراني، إنّ ما يجري في سورية هو "مؤامرة مركّبة"، واتّهمت الصحيفة تركيا بإنشاء مخيمات على الحدود مع سورية بهدف "دعم المعارضين وتهريب السلاح إلى المحتجّين في سورية"^(١٠٥).

- دعم سورية بمواجهة الاستهداف الخارجيّ، وقال وزير الخارجيّة الإيرانيّ علي أكبر صالحى (٢٨-٢٠١١)، ردّاً على سؤال عن تهديد "الناتو" لسورية، إنّ "الشعب السوريّ هو شعب مقاوم"، مؤكّداً "أنّ التهديدات الأميركيّة والغربيّة لن تثبط من عزيمة الشعب السوريّ". و" إنّ الناتو ليس بإمكانه تهديدها [سورية] بشنّ هجوم"، وأنّه "لو حدث هذا لا قدر الله فإنّ الناتو سيغرق في مستنقعٍ لن يكون قادراً على الخروج منه أبداً"^(١٠٦).

- دعوة الحكومة السوريّة للاستجابة لمطالب الإصلاح، وكان وزير الخارجيّة الإيرانيّ صالحى قد أعلن (٢٧-٨-٢٠١١) أنّ "على الحكومات أن تستجيب للمطالب المشروعة لشعوبها، سواء في سورية أو اليمن وغيرهما. في هذه البلدان، تعبّر الشعوب عن مطالب مشروعة وعلى حكوماتها أن تستجيب لها بسرعة"^(١٠٧).

تصريحات إعلامية، إضافة إلى أنّ هذا البيان لم تتم مناقشته خلال اجتماع المجلس، ولم يتمّ عرضه على وزراء الخارجية أو رؤساء الوفود وفقاً لقواعد الإجراءات المنصوص عليها في النظام الداخلي للجامعة وقواعد الاجتماعات". سانا (٢٨-٨-٢٠١١)، والسفير، (٢٩-٨-٢٠١١).

^{١٠٤} - قناة العربية، ١٩-٧-٢٠١١، أخبار العالم، ١٩-٧-٢٠١١.

^{١٠٥} - المصدران نفسهما.

^{١٠٦} - السفير، ٢٩-٨-٢٠١١.

^{١٠٧} - المصدر نفسه.

- المخاوف من تداعيات إسقاط نظام الرئيس بشار الأسد، وقد حذّر وزير الخارجية الإيراني من "الفراغ السياسي" في سورية، وقال إنّ "فراغ السلطة في سورية ستكون له عواقب غير متوقّعة على الدّول المجاورة وعلى المنطقة... ويمكن أن تسبّب كارثة في المنطقة وأبعد منها"^(١٠٨).
- الاستهداف الغربيّ لسورية من أجل التخلّص من المقاومة، قال وزير الخارجية علي صالحى "سورية حلقة مهمّة من حلقات المقاومة في الشّرق الأوسط والبعض يريد التخلّص من هذه الحلقة"^(١٠٩).
- تقديم مقترحات لحلّ الأزمة، إذ قال مصدر إيرانيّ في دمشق، إنّ "طهران قدّمت مجموعة مقترحات معظمها سياسيّة، أكثر من مرّة، لتجاوز الأزمة السوريّة الحاليّة"، وأنّ "عشرات البنود من مجموعة المقترحات التي تمّ تقديمها خطّيّاً إلى جهات سوريّة مسؤولة تضمّنت حلولاً، كان يمكن أن تسهم، بحسب وجهة النّظر الإيرانيّة، في تخفيف حالة الاحتقان في الشّارع السوريّ، لا سيّما عندما كانت الأزمة في بداياتها، واضعين ما نملكه من خبرة في تصرّف أصدقائنا في دمشق، منوهين بضرورة تخفيف حدّة الخيار الأمنيّ".
- محاولة مساعدة النّظام في سورية في توضيح وجهة نظره. وكان السّفير الإيرانيّ في موسكو رضا سجادي أعلن أنّ "إيران تبذل جهوداً مضنية على مستوى العالم، ومن خلال المؤسّسات الدوليّة لتعكس واقع ما يجري في سورية كما هو"، متّهما الغرب بتشويه الأحداث الجارية في سورية. وأضاف سجادي "قدّمنا اقتراحات إلى سورية، إلا أنّ الحكومة السوريّة ترى أنّها تستطيع حلّ مشاكلها بنفسها"^(١١٠).

وقد شاع أنّ إيران وجّهت رسائلٍ سياسيّة وأمنيّة لتركيا بشأن الأحداث في سورية، وأنّها ستواجه أيّ تدخّل للنااتو فيها (سورية) عبر ضرب أهداف له في تركيا^(١١١)، وأنّ إيران وجّهت رسائلٍ مماثلة لأطرافٍ أخرى عبر

^{١٠٨} - المصدر السابق.

^{١٠٩} - المصدر نفسه.

^{١١٠} - المصدر نفسه.

^{١١١} - إيلي شلهوب، "إيران: حماية أسوار دمشق دفاعاً عن بيروت وطهران"، الأخبار، ٢٤-٦-٢٠١١.

ونفى المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية "رامين مهمانبرست" ما قيل عن قيام إيران بتهديد تركيا إثر تلقّيها معلومات عن اعتزام حلف الناتو مهاجمة سورية عبر قواعده في تركيا". (في: "إيران تُكذّب ادّعاءات تهديدها تركيا"، أخبار العالم، ٢٩-٦-٢٠١١).

دول عربية مثل الإمارات العربية المتحدة. هذا إلى جانب المخاطر والتحديات والخسائر المحتملة بسبب تراجع العلاقات بين تركيا وإيران.

وقال المتحدث باسم الخارجية الإيرانية "لو خُيِّرنا بين تركيا وسورية فإننا سنختار سورية بلا شك"^(١١٢). ويقال أكثر من ذلك في الكواليس. وقد سبق لإيران أن أعلنت موقفاً حازماً تجاه أيّ تدخل محتمل لحلف الناتو في سورية، وانطوى ذلك على تحذيرات بشأن قواعد الحلف في تركيا.

وردت تركيا على إيران بقبولها العلني الانخراط في مشروع الدرع الصاروخية الذي كانت وافقت عليه مبدئياً، ولكنها تحفظت على تسمية الدول التي يستهدفها. وقد عكس المسار الذي اتخذته السياسة الخارجية التركية منذ عدة أشهر، ولاسيما تجاه سورية، إمكانية إعلان أنقرة موافقتها التامة هذه المرة على نشر الدرع على الأراضي التركية^(١١٣).

وقد حازرت تركيا في السابق من ذكر إيران كبلد مستهدف من هذا المشروع، ولكن ذلك لا يغيّر من حقيقة المشروع. وهذا ما عكسه الرئيس الفرنسي "نيكولا ساركوزي" الذي قال للرئيس التركي "عبد الله غول" في قمة لشبونة، التي أقرت المشروع، في خريف عام ٢٠١٠، "يجب أن نسمي القطة قطة" أي يجب أن ندعو إيران بالاسم^(١١٤).

٣ - البيئة الثنائية:

تطوّرت العلاقات بين سورية وتركيا بشكل غير متوازن، فربما غلبت الاعتبارات السياسية والمرحلية على الجانب السوري، فيما كانت تركيا تعمل على مستويات أكبر وأعمق. ويبدو أنّ العلاقات وصلت إلى حدّ الكفاية الإستراتيجية، أو استنفذت إمكاناتها، ما مكّن تركيا من التفكير في تجاوز علاقاتها بسورية كطرف إقليمي، والتدخل في مساراته المستقبلية والهيمنة عليه، وخاصةً أنّ لدى الأتراك شعوراً بالفارق المتزايد في القوة الاقتصادية والسياسية، والقدرة على التأثير حتّى في داخل سورية نفسها، فيما تضاعلت قدرة سورية على التأثير في داخل تركيا.

^{١١٢} - السفير، ٢١-٧-٢٠١١.

^{١١٣} - أشارت صحيفة "ميللييت" (١٤-٧-٢٠١١)، إلى أنّ اتصالات مكثفة جرت بين الرئيس الأميركي باراك أوباما ورئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان وبين وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون ووزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو في الأشهر الأخيرة. وقالت إنّ تركيا التي كانت تنظر بحذر إلى مسألة نصب الدرع الصاروخية بانتظار تنظر إليها بحرارة اليوم.

^{١١٤} - السفير، ١٥-٧-٢٠١١.

وعندما يختلّ التوازن في السياسة، لا بدّ من إعادة العمل على تشكيل العلاقة من جديد على أساس ميزان القوى الجديد مادياً ومعنوياً، ويبدو أنّ هذا هو ما يحصل لدى الأتراك، وهم يشعرون بأنّ لديهم القوة والإرادة في التأثير، فيما تفنقر سورية لذلك، كما أنّها "منهكة" بالأوضاع الداخليّة والفشل في السياسات الاقتصاديّة والتحدّيات الأمنيّة والسياسيّة.

هنا من المحتمل أن تعمل تركيا على تظهير نظريّة جديدة للسياسة الخارجيّة تتجاوز "العمق الإستراتيجي" ومبدأ "صفر مشكلات" إلى مبدأ "التدخل النشط" في "عصر الثورات العربيّة" بغية التأثير القسديّ (وليس فقط الاختياريّ) في مساراتها. ويمكن تركيز تفاعلات السياسة على هذا الصّعيد في النقاط التاليّة:

- واصلت تركيا ضغوطها على النّظام في سورية من أجل القيام بالتّغيير، واتبعت سياسة مركّبة انطوت على الاستعداد لتقديم المشورة، والضّغوط الإعلاميّة والسياسيّة، وتنظيم المعارضة السوريّة، والتّهديد بالتدخل الدوليّ^(١١٥)، وتطبيق عقوبات سياسيّة واقتصاديّة، والتلويح بالأعمال العسكريّة^(١١٦)، إلخ.
- وصفّ السّفير السوريّ في طهران حامد حسن (١١-٧-٢٠١١) موقف الحكومة التركيّة من الأحداث في بلاده بأنّه "مثير للشكوك". وقال إنّ الموقف التركيّ أدهش الجانب السوريّ، وإنّ تصريحات المسؤولين الأتراك أثارت استغراب القيادة السوريّة، وإنّ الشّعب السوريّ لا يرى أيّ مبرر لتنظيم مؤتمرات للمعارضة السوريّة في تركيا.

واتّهم حسن أميركا وإسرائيل بالعمل منذ سنوات على "زعزعة الاستقرار في سورية تحت مسمّى احتجاجات شعبية، حيث أنفقنا ملايين الدّولارات وزوّدنا العصابات المسلّحة بالأسلحة والعتاد والتّقنيات المعلوماتيّة"، وذلك في إطار "الانتقام من سورية بسبب مواقفها الممانعة"^(١١٧).

- قال وزير الخارجيّة التركيّة أحمد داود أوغلو إنّ بلاده تريد من سورية "الإسراع في تنفيذ ما اتّفق عليه مع الرّئيس السوريّ بشّار الأسد في دمشق"، وأنّ "تترجم المسائل التي اتّفق عليها على أرض الواقع في أقرب وقتٍ ممكن"^(١١٨).

^{١١٥} - نقلت صحيفة "راديكال" عن مصادر تركية قولها، إنّ "مشاركة تركيا في التدخل الدوليّ في إطار مفهوم "التدخل الإنساني"، كان موضع نقاشات وتقييمات تركيّة واسعة على الصّعيد الرسمي، كما كان في صلب الاتّصال الهاتفي الذي تمّ بين رئيس الحكومة التركي رجب طيب أردوغان والرئيس الأميركي باراك أوباما. (السفير، ١٥-٨-٢٠١١).

^{١١٦} - أخبار العالم، ١٣-٨-٢٠١١.

^{١١٧} - الرياض، ١٢-٧-٢٠١١. و: أخبار العالم، ١٢-٧-٢٠١١.

^{١١٨} - يو. بي. أي.، ١٥-٨-٢٠١١.

- قال وزير الخارجية التركي أحمد داوود أوغلو إن تركيا تعدّ "ما يحدث في سورية بالنسبة إلى أنقرة شأن سوريّ داخليّ". وللمرّة الأولى منذ بدء الأحداث، تضمّنت تصريحات داوود أوغلو، اعترافاً غير مباشر بأنّ الجيش السوريّ يواجه مسلّحين في بعض المدن. وقال أوغلو خلال مؤتمر صحفيّ عقب محادثاته مع وزير خارجيّة جنوب أفريقيا "ماييت نكوانا- ماشاباني" (٢٠-٨-٢٠١١)، "عندما يُجري الجيش السوريّ عمليّات عسكريّة في المدن، فإنّ ذلك يذكرّ بتكتيك العقوبات الجماعيّة. يجب محاربة المسلّحين بطريقة لا يعاني فيها السكّان المدنيون" (١١٩).

- وجّه الرئيس السوريّ بشار الأسد في مقابلة مع التّفزيون السوريّ الرّسميّ (٢١-٨-٢٠١١) رسالةً ضمنيّة إلى تركيا قائلاً: "إنّنا لا نعلم التّوايا الحقيقيّة [للأتراك]... ربّما تكون نوعاً من الحرص كما نسمع من وقت إلى آخر، وإذا كانت نوعاً من الحرص، فنحن نقدرّ ونشكر حرص الآخرين على سورية. وربّما تكون قلّقا من أيّ خلل يحصل في سورية يؤثّر في تركيا وهذا قلق طبيعيّ. والاحتمال الثّالث هو أن يكون محاولة أخذ دور المرشد أو المعلم أو لاعب الدّور على حساب القضية السوريّة، وهذا الموضوع مرفوض رفضاً باتاً من أيّ مسؤول في أيّ مكان في العالم بما فيها تركيا" (١٢٠).

- اجتمعت الهيئة العليا لمكافحة الإرهاب في تركيا في ٢٥-٨-٢٠١١، برئاسة نائب رئيس الحكومة بشير أتالاي، ومشاركة وزراء الخارجيّة والداخليّة والدّفاع والعدل والماليّة وقائد قوّات الدّرك ورئيس جهاز الاستخبارات ومسؤولين أمنيين، وبحثت "التطوّرات الجارية في سورية والاحتمالات السلبية التي قد تؤثر على أمن تركيا واستقرارها" (١٢١).

- قال الرئيس التركيّ عبد الله غول إنّ تركيا فقدت ثقتها في النّظام السوريّ مع استمرار حملته الدّائمة ضدّ المحتجّين، وقد "وصل الوضع [في سورية] إلى حدّ أنّه لم يعد أيّ شيء يكفي"، وأنّ وعود الرئيس السوريّ بشار الأسد بوقف الحملة لم تتحقّق. وقال غول إنّّه يتابع آخر التطوّرات في سورية عن كثب، ويتلقّى "يوميّاً" تقارير استخباراتيّة عن تفاصيل الأحداث الجارية هناك" (١٢٢).

١١٩ - سانا، ٢٠-٨-٢٠١١.

١٢٠ - سانا، ٢١-٨-٢٠١١.

١٢١ - السفير، ٢٦-٨-٢٠١١.

١٢٢ - أخبار العالم، ٢٨-٨-٢٠١١.

- قال رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، إنَّ مسؤولي النظام السوريّ قد يواجهون المصير نفسه الذي واجهه القادة الذين أُطيحوا في العالم العربيّ في عام ٢٠١١، وإنَّ "الحلّ الوحيد هو التخلّي فوراً عن السّلاح والإصغاء إلى مطالب الشّعب". وشدّد على أنّ تركيا "تُذكّر الحكومتين السوريّة واليمنيّة بهذه الحقيقة" كما كانت ذكّرت "سابقاً الحكومتين المصريّة والتونسيّة"^(١٢٣).

٤ - البيئة الداخليّة:

- يتعلّق الأمر بعوامل عديدة، أهمّها محاكاة المزاج السياسيّ لتيّار عريض ونشط في تركيا، وهو تيّار "الأسلمة" السياسيّة، والذي تأثّر كثيراً بما يجري في سورية، وخاصّةً في الوجه الذي قدّمه الإعلام العالميّ، أي أنّه تأثّر بالضغوط والأدلجات القصدية والتحريرية، والدينيّة والمذهبيّة، بشأن الأحداث. ولم يكتف الخطاب السياسيّ والإعلاميّ للحكومة في تركيا بمحاكاة ذلك المزاج فقط وإنّما بالإيحاء له و"تحشيد" و"اللّعب" على تكويناته، بكيفيّة أدّت إلى مزيد من الاستقطاب المذهبيّ داخل تركيا نفسها، وليس فقط في الخارج.

- تمّ تفسير العديد من مواقف التّحريض المذهبيّ على أنّها جزء من "لوثة" الانتخابات البرلمانيّة، التي جرت في ١٢ حزيران/يونيو ٢٠١١، وذلك لكسب المزيد من أصوات الأتراك (والعرب والأكراد) المتديّنين الذين يصوّتون عادةً لأحزابٍ أخرى مثل "حزب العمل القوميّ"، وحتّى "حزب الشّعب الجمهوريّ" و"حزب السّلام والديمقراطيّة" (الكرديّ)، الخ، وهؤلاء كتلة مؤثّرة جدّاً في الانتخابات، لأنّ التّجيش من هذا النّوع، وضغوط الإعلام، يخلق ردود أفعال واستجابات مباشرة ومؤثّرة في السّلك الانتخابيّ، وهو ما حدث فعلاً، إذ حصل حزب أردوغان على ٥٠% من أصوات الناخبين في الانتخابات المذكورة.

- هناك مخاوف جدية لدى الأتراك من أن تؤدي تطوّرات الأحداث في سورية إلى خلق أوضاعٍ جديدة، أو تحفيز مصادر تهديد داخليّة في تركيا، لتشابه التّركيب الاجتماعيّ والأثنيّ والدينيّ بين البلدين، وأنّ تركيا يمكن أن تتأثّر جدّاً في مستويين محتملين من الصّراع: المستوى الكرديّ، والمستوى المذهبيّ^(١٢٤). وقد تحدّث المسؤولون والمحلّلون كثيراً عن هذين المستويين، وحذّر أردوغان منهما بصفة متواترة ومثيرة للاستغراب لدرجة ظنّ البعض أنّه كأنّما "يحضّ عليهما".

^{١٢٣} - السفير، ٢٩-٨-٢٠١١.

^{١٢٤} - حازم صاغة، "أين تكمن المؤامرة؟"، الحياة، ١٤-٦-٢٠١١.

- ركّز الإعلام السوري والعربي بقدر أو آخر من المبالغة على "العامل الانتخابي" في تفسير الموقف التركي. وهذا لم يكن دقيقاً، لأنّ الوضع الانتخابي لحزب أردوغان كان "مريحاً" حسب نتائج استطلاعات الرأي، وأمّا السعي إلى مزيد من الاستقطاب فكان موجوداً ربّما للحصول على أغلبية مريحة تمكّنه من تعديل الدستور أو تخفّف عليه الأمر. وربّما من أجل تبرير الخطوات اللاحقة مثل "إعادة" العلاقات الأمنية والإستراتيجية مع إسرائيل^(١٢٥)، والضغظ على حماس من أجل "نهج" سياسات معيّنة تقبل بها إسرائيل^(١٢٦)، وكذلك تهيئة الرأي العام لأيّ خيارات عسكرية محتملة ضدّ سورية. وهذا يتطلّب "تعمية" سياسية لا تحقّقها إلا مواجهة الاستقطاب الديني والمذهبي.

- قام أردوغان شخصياً بالتحريض اليوميّ - خلال الحملة الانتخابية (وبعدها) -^(١٢٧)، وأرسل رسائل إلى داخل تركيا وخارجها، بشأن "المخاوف" من حرب أهلية وتقسيم محتمل لسورية^(١٢٨)، مع ما يرافق ذلك من الاستقطاب والمبالغات بخصوص الصدام الطائفي والمذهبي^(١٢٩)، وهي من عوامل التأثير في الدّاخل السوري، وحتّى التأثير في أوساط أخرى في العالم العربي والإسلامي، لأنّ في تركيا من يعتقد أنّه يجب العمل على تأكيد زعامة من هذا النوع.

٥ - في الوزن النسبي للمحدّدات المذكورة:

إنّ جميع المستويات أو المحدّدات المذكورة آنفاً، موجودة كعوامل مؤثّرة في تشكيل الموقف التركي من الأحداث في سورية. ولا بدّ هنا من الإشارة إلى تأثير "العامل الشخصي" الذي لا ترشح عنه معلومات كثيرة. فهناك أسئلة: ماذا عن طبيعة العلاقات والانطباعات الشخصية بين الرئيس بشار الأسد وبين رجب طيب أردوغان؟ هل هناك مدارك أو انطباعات من نوع ما يمكن أن تعيق التّواصل وبناء الثقة؟ هذا الأمر - على أهمّيته - متروك الآن لعدم توافر معلومات جدّية عنه، وربّما كانت لمدارك الرّجلين أو المقرّبين منهما وربّما في الدّائرة الضيقة منهما تأثيرات في طبيعة التّواصل بينهما، ونحن نعني هنا أردوغان أساساً، لأنّه صاحب القرار الرئيس في شأن موقف بلاده من الأزمة في سورية.

^{١٢٥} - انظر وقارن: "لماذا لن تشارك مرمرة" في أسطول الحرية - ٢٠٠٢، السفير، ٢٠-٦-٢٠١١. وانظر: عائشة كاريات، "لماذا غاب الأتراك عن أسطول الحرية - ٢٠٠٢"، الأخبار، ٢-٧-٢٠١١.

١٢٦ - القيس، الكويت، ٢٦-٦-٢٠١١.

^{١٢٧} - السفير، ٢٧-٥-٢٠١١.

^{١٢٨} - الوطن أون لاين، ٢-٥-٢٠١١. و: السفير، ١٦-٥-٢٠١١.

^{١٢٩} - قال رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان، خلال اجتماع لاتحاد الغرف التجارية والبورصات التركية في أنقرة، إنّ "تركيا تتابع التطورات في سورية كما لو كانت شأنًا داخليًا بالنسبة إليها... ونبدل جهودًا كبيرة لمنع الصدمات الطائفية في سورية". (السفير، ١٧-٥-٢٠١١).

علينا الآن أن ندقق في الوزن النسبي لتلك العوامل في الموقف التركي، ما طبيعة تأثيرها؟ وأيها الأكثر تأثيراً؟ وأيها الثابت (أو المستقر)؟ وأيها المتحول (أو العابر)؟ وكيف يمكن التعاطي معها، منفردة أو مجتمعة؟ وهذا من أولويات السياسة السورية في هذا الخصوص. وتتوقف عليه الكثير من الأمور، لأنه بمعرفة الأوزان النسبية للمحددات والأسباب، يمكن احتواء مصادر التهديد والتعاطي الفعال مع عوامل الأزمة بين سورية وتركيا.

بات من المؤكد أنّ نمّة "توافقاً" موضوعياً - ليس من النمط التلقائي - بين تركيا وأطراف مثل الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وإسرائيل، وغيرها، بشأن تفكيك "العقدة" السورية في السياسة الإقليمية تحت مظلة "الثورات" و"التغيير الديمقراطي"، التي "سكنت" عن دول أخرى تعدّ أوضاع الحقوق والحريات وحتى الاحتياجات الأساسية للإنسان فيها أكثر حرجاً منها في سورية. ولم يكن كلّ هذا ممكناً لولا وجود بيئة داخلية ذات قابلية نشطة في سورية.

رابعاً - التجليات العامة لموقف تركيا تجاه الأحداث في سورية

اتخذت تركيا موقفاً مركباً، ينطوي على غموضٍ قصديّ، ومستوياتٍ متعدّدة، بما يوحي أنّ تركيا تؤيد استقرار البلاد، بكلّ الأبعاد التأويلية الممكنة، بحيث يمكن للمتلقّي أن يفهم أنّ "دعم الاستقرار" هو الأصل وليس "بقاء" أو "استمرار" النظام السياسيّ، وقد يصبح "النظام السياسيّ" - من هذا المنظور - هو نفسه عقبة أمام "الاستقرار".

عينٌ هنا، وعينٌ هناك؛ إظهار الدعم والتأييد للاستقرار ومسار الإصلاح، والحثّ عليهما، وفي الوقت نفسه الانفتاح على الخيارات والبدائل الأخرى، مثل المعارضة الرأهنة أو أيّ مسارات وترتيبات محتملة، مع ممارسة ضغوط سياسية وإعلامية ونفسية وحتى تدخّلية على النظام السياسي وعلى شرائح مجتمعية وأثنية ودينية في سورية نفسها. وسوف نتناول التجليات العامة للموقف التركيّ أو مفردات السياسة التركية تجاه الأحداث في سورية، من خلال المحاور الرئيسة التالية: التجليات السياسية، والتجليات الأمنية والعسكرية، والتجليات الأثنية، والتجليات الإعلامية.

١ - التجليات السياسية

أظهرت تركيا سلوكاً متفاوتاً تجاه سورية، مثل استعدادها للتوصّل إلى توافقات مع الدول والأطراف المناهضة لسياسات سورية. كما يُظهر الأتراك دينامية اقتراب-تباعّد بحسب المكاسب المحتملة، والدور الممكن في

الشأن السوري، فيما لو تطوّرت الأمور إلى مزيدٍ من التأزيم، وخاصةً أنّ تركيا تراهن على امتلاكها "أوراقاً قويّة" ذات تأثير في اتجاهات الأزمة الرّهانة. وهنا يمكن تركيز التجلّيات السياسيّة للموقف التركيّ في النّقاط التّالية:

- الانتقال من دعم "النّظام السياسيّ" إلى دعم "الاستقرار"، وهما ليسا واحداً في الرّؤية التركيّة للظّاهرة السوريّة الرّهانة. وقد قال وزير الخارجيّة أحمد داوود أوغلو في ندوة في إسطنبول (٢٧-٣-٢٠١١) "نحن نريد تغييراً لا ينتج عنه عدم استقرار سياسيّ"^(١٣٠).
- القول إنّ تركيا تنتظر إلى ما يجري في سورية كأنّما هو "شأن داخليّ"، بكلّ ما لهذا القول من "مضامين" سلبية في الجانب السياسيّ والمعنويّ. وفي ذلك نوع من "البراغماتيّة الفجّة"، وحتّى "الاستخفاف" بالوزن النوعي للشركاء. ويبدو أنّ تركيا تستغلّ "انشغال" سورية بالأزمة الرّهانة، وربّما اضطرارها لـ "التكيّف" مع السّيّاسات التركيّة "المستجدة".
- مواصلة ضغوط سياسيّة شبه يومية، ويكاد الشأن السوريّ لا يغيب عن تصريحات المسؤولين في تركيا مثل رجب طيب أردوغان وعبد الله غول وأحمد داوود أوغلو. وكان مادّة مستمرّة في الحملة الانتخابيّة لـ "حزب العدالة والتّمية"، و"ورقة" في السّجال الداخليّ الذي سبق الانتخابات البرلمانيّة في ١٢ حزيران/يونيو ٢٠١١^(١٣١).
- التّعاطي النّشط مع المعارضة السوريّة، وخاصةً "الإخوان"، والعمل على صياغة "تنظيم" أو "مجلس" يجمع أفراداً وقوى معارضة في الخارج، من مختلف التّيّارات والارتباطات، من خلال المؤتمرات العلنيّة الصّريحة أو السّريّة. ورعاية الصّلات والتّفاهات بين "الإخوان المسلمين" وقوى أخرى مثل الولايات المتّحدة ودول أوروبية. وتهيئة الأمور أمامهم لقيادة المعارضة.

^{١٣٠} - السفير، ٢٩-٣-٢٠١١.

^{١٣١} - هناك رأي يقلل من أهمية الاستحقاق الانتخابي على اعتبار أنّ "حزب العدالة والتّمية" كان يتمتّع بوضع مريح نسبياً حسب نتائج استطلاعات الرأي في تركيا.

عَبَّرَتْ تركيا عن استعدادها لتقديم المساعدة الفنيّة والتّقنيّة في أمور تتعلّق بالتّشريعات والقوانين المتعلّقة بالأحزاب والإعلام ومكافحة الفساد، إلخ. وذهبت في ذلك إلى اقتراح نفسها "ناظرًا" على الإصلاح^(١٣٢)، ورَدَّدَ مسؤولوها ذلك بنوع من "الأستدّة" غير المألوفة في العلاقات الدوليّة.

- دعا الرئيس التركيّ عبد الله غول نظيره السوري بشار الأسد إلى إجراء إصلاحات ديمقراطية قبل فوات الأوان، وقال غول في الرّسالة التي نقلها يوم الثلاثاء ٩-٨-٢٠١١ وزير الخارجية أحمد داود أوغلو "لا أريد أن يأتي يوم تشعرون فيه بالأسف وأنتم تنظرون وراءكم لأنكم تأخّرتُم كثيرًا في التحرك أو لأن تحرككم كان قليلا جدا"، وإن "توليكم قيادة التغيير سيجعلكم في موقع تاريخيّ بدلا من أن تجرفكم رياح التغيير"^(١٣٣).

- وجّه وزير الخارجيّة التركيّ أحمد داود أوغلو ما وصفه بـ"التحذير الأخير" إلى الرئيس السوريّ بشار الأسد بأنه إذا لم تتوقّف العمليات العسكريّة ضدّ المدنيّين في سورية فإنّه "لن يتبقّى شيء للكلام". وذكر أوغلو بزيارته الأخيرة لدمشق في ٩ آب / أغسطس ٢٠١١^(١٣٤)، قائلا إنّته حمل مطلبين محدّدين: وقف العمليات العسكريّة ضدّ المدنيّين وسحب الجيش من المدن، ومواجهة المطالب الديمقراطيّة للشعب. وإنّ تركيا لم تعترف لسورية بأيّ مهلة في ما يتعلّق باستمرار العمليات العسكريّة. وقال أوغلو إنه "بعد عودتي من لقاء دمشق انسحبت الدبّابات من حماة، ولكن منذ مساء الخميس ١١ آب / أغسطس ٢٠١١ [...] اتّسعت العمليات العسكريّة التي تسبّبت في المزيد من إراقة الدّماء"^(١٣٥).

- قال وزير الخارجيّة التركيّ، "نريد اليوم أن نخاطب القيادة السوريّة مرّة أخرى: يجب وقف العمليات المكثّفة ضدّ المدنيّين داخل المدن، وأن ينسحب الجيش من المدن وأن تعود الحياة إلى طبيعتها. إذا

^{١٣٢} - قالت مصادر تركية، لقد أعطينا الرئيس بشار الأسد "كتيّبا كبيرا يتضمن كل خبرتنا في مجال تأسيس الأحزاب والجمعيات وحلّ القضايا بالحوار، وكان رحب الصدر دائما، لكننا لم نجد ترجمة فعلية لهذه الإيجابية". الشرق الأوسط، لندن: ١٣-٦-٢٠١١.

^{١٣٣} - أخبار العالم، ١٣-٨-٢٠١١.

^{١٣٤} - اعتبرت زيارة وزير الخارجيّة التركيّ أحمد داود أوغلو إلى سورية (٩-٨-٢٠١١) مسألة "حاسمة" و"فرصة" في العلاقات السوريّة - التركية، انظر مثلا:

Hasan Kanbolat, "Davutoğlu in Syria: the beginning of the end", , *Today's Zaman*, Istanbul: 8-8-2011, & Fatma DiŞli Zibak, "Assad's Choice", *Today's Zaman*, Istanbul: 10-8-2011.

^{١٣٥} - *Anadolu Agency*, Ankara: 15-8-2011.

لم تتوقف العمليات فلن يبقى هناك شيء لنتحدث عنه بخصوص الخطوات التي ستتبع خلال هذه الفترة. هذه هي كلمتي الأخيرة"^(١٣٦).

- شبّه رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان الموقف في سورية بالوضع في ليبيا، وقال "فعلنا ما بوسعنا بشأن ليبيا لكننا لم نستطع تحقيق أي نتائج، لذا فقد أصبح الموضوع مسألة دولية الآن... لم يحقق القذافي آمالنا والنتيجة كانت واضحة"، و"الآن يحدث نفس الموقف في سورية.. لقد أرسلتُ وزير خارجيتي واتصلت شخصيا عدة مرات [...] ورغم كل ذلك ما زال المدنيون يُقتلون"^(١٣٧).

- قال الرئيس التركي عبد الله غول إن تركيا فقدت ثقته في النظام السوري، وقد "وصل الوضع [في سورية] إلى حد أنه لم يعد أي شيء يكفي"^(١٣٨). وأكد غول أن تركيا قدّمت مساهمات ملحوظة لسورية كي تحقّق التحوّل الديمقراطي في البلاد، غير أنه فقد ثقته في النظام السوري جزاء مواقفه الأخيرة إزاء شعبه، وقال إنّه يتابع آخر التطورات في سورية عن كثب، ويتلقّى "يوميًا" تقارير استخباراتية عن تفاصيل الأحداث الجارية هناك^(١٣٩).

٢ - التجليات الأمنية والعسكرية

تشكّل الجوانب الأمنية والعسكرية استمرارًا للتجليات والأبعاد السياسية، ولكن بوسائل أخرى، وهي في الحقيقة أداة تنفيذية لقرار سياسي. ومثلما هناك مستويات علنية وأخرى سرية في التجليات والمستويات السياسية، كذلك الأمر هنا، إذ للجوانب الأمنية والعسكرية ومستويات علنية وأخرى "سرية". ويمكن التعبير عن ذلك في النقاط التالية:

- ركّزت تركيا على التعاطي الأمني والعسكري (أو الاستخباراتي) مع الأحداث بتوليّ رئيس الاستخبارات العسكرية التركية الجنرال هاكان فيدان - وليس وزير الخارجية - مهامّ "ساعي البريد" مع سورية، وهذا أمر تقصّده رجب طيب أردوغان أكثر من مرّة. وتسريب معلومات وتقارير عسكرية

¹³⁶ - Anadolu Agency, 15-8-2011.

¹³⁷ - Anadolu Agency, 17-8-2011.

¹³⁸ - Anadolu Agency, 28-8-2011.

¹³⁹ - Anadolu Agency, 28-8-2011.

وأمنية حول الموقف في سورية، بكلّ التصريحات والإيحاءات والضغوط النفسية والدعائية السلبية. والتركيز على إظهار اجتماعات أردوغان مع رئيس الأركان ورئيس المخابرات في وسائل الإعلام.

- نقل ملفّ الأحداث في سورية إلى "مجلس الأمن القومي"، والتركيز على مخاوف عدم الاستقرار والصراع الديني والمذهبي، والتداعيات الكردية، واحتمال التقسيم، والتهديدات الأمنية المحتملة على تركيا. وإعطاء توجيهات للمؤسسة العسكرية للاستعداد لأيّ تطورات أمنية محتملة، ودراسة خيارات ميدانية محدّدة للقيام بها عند الضرورة. والقيام بخطوات عملية وتنفيذية تتعلّق بجعل الحدود "أكثر مرونة" لتسلّل الأفراد والسلاح ومختلف أشكال الدعم المعنوي والمادي.

- الحديث عن أمن الحدود، وإغلاقها لفترة محدودة (عدّة ساعات) بتاريخ ١ نيسان / أبريل ٢٠١١ بزعم تسلّل مقاتلين من "حزب العمال الكردستاني" من سورية إلى تركيا، بما ينطوي على إيحاءات عديدة تخصّ عدم قدرة الدولة السورية على تأمين الحدود، ووجود رهن لمقاتلين أكراد في سورية، أو تحريك مخاوف في داخل تركيا من عودة الحزب المذكور للنشاط انطلاقاً من سورية، ما يتطلب تدخلاً تركيا من نوع ما، أو ربما الإيحاء بأن سورية ربما تريد معاودة دعمها للحزب.

- إشاعة معلومات عن استعداد الجيش التركي لإقامة "ملاذات آمنة" في مناطق محددة داخل الأراضي السورية مثل "القامشلي" و"دير الزور"^(١٤٠)، كإجراء لاحتواء تدفق محتمل للاجئين إلى تركيا في حال شهدت الأمور في سورية تطورات صراعية نشطة. ولا يعدّ التّقي الرسمي لتلك المعلومات إلا نوعاً من "التأكيد" أو "التعزيز"^(١٤١). كما أشيعت معلومات عن استعدادات للجيش التركي للقيام بأعمال

^{١٤٠} - انظر مثلاً:

Robert Fisk, "Who cares in the Middle East what Obama says?", *Independent*, 30-5-2011. & Soner Cagaptay, "A Turkish Buffer Zone Inside Syria?", *Hurriyet Daily news*, 3-7-2011.

^{١٤١} - انظر صيغة النفي في عنوان الخبر التالي: "تركيا تنفي إقامة منطقة آمنة للنازحين عبر التدخل في الأراضي السورية". (أخبار العالم، ٦-١-٢٠١١). وأما متن الخبر فجاء على النحو التالي: "نفي مصدر مسؤول بوزارة الخارجية التركية ما تردّد عن تخطيط تركيا للتدخل العسكري في الأراضي السورية لإقامة "منطقة آمنة" يتمّ تجميع النازحين من سورية فيها، حال تصاعد الأحداث التي تشهدها سورية وحدث موجة كبيرة من النزوح الجماعي باتجاه تركيا. وأكد المصدر أنّ تركيا ليست لديها أيّ خطط في هذا الصدد، وأنه لا صحّة على الإطلاق لهذه المعلومات". (أخبار العالم، ٦-١-٢٠١١).

عسكرية تجاه سورية بهدف إقامة بؤر سياسية وعسكرية على غرار بنغازي في ليبيا، وذلك في إطار خطط لحلف الناتو وأطراف أخرى^(١٤٢).

- التنسيق الأمني والاستخباراتي مع أطراف دولية وإقليمية، وسورية معارضة. وقد أشيع كلام عن اشتراك تركيا في تنظيم لقاءات وخطط تنظيمية - بهذا الخصوص - لجهات سياسية واستخباراتية من تركيا نفسها ومن دول مثل الولايات المتحدة وإسرائيل، وحتى دول عربية. وذلك عدا عن التنسيق القائم في إطار الاتفاقات الأمنية والإستراتيجية مع "الناتو" والولايات المتحدة وإسرائيل وغيرها في مجال الأمن ومكافحة الإرهاب واحتواء مصادر التهديد، إلخ، والتي يمكن أن تسري مفاعيلها على الشأن السوري.

- استدعت تركيا الاحتياط العسكري بسبب استمرار الأزمة في سورية، حيث سيتم نشر قوات كبيرة على طول الحدود السورية التركية. وشملت الدعوة جميع الجنود والضباط الذين أنهوا خدماتهم في الجيش التركي في السنوات الخمس الأخيرة^(١٤٣). وهناك "استعدادات تركية عسكرية"، وتعزيزات لـ"الجيش الثاني المسؤول عن الحدود السورية". ولهذا صلة بما تروجه الاستخبارات التركية عن "تسلل مقاتلين من حزب العمال الكردستاني إلى تركيا في منطقتي غازي عينتاب ولواء الاسكندرونه"^(١٤٤)، ولكن الهدف الأبرز هو "الاستعداد للتدخل وفرض منطقة عازلة في سورية"، أو "الضغط على سورية لتنفيذ ما نقله لها وزير الخارجية أحمد داوود أوغلو يوم الثلاثاء ٩ آب / أغسطس ٢٠١١ في شأن الإسراع في تنفيذ إصلاحات جذرية"^(١٤٥).

٣ - التجليات الأتنية

هناك تشابه كبير في البنى الأتنية بين سورية وتركيا، وهذا يبرر للاتراك القول إنهم ينظرون إلى الظاهرة السورية كأنما هي "شأن داخلي" لتركيا، وهذا ليس بسبب التشابه فقط، وإنما بسبب قابلية التأثير (أليس هناك

^{١٤٢} - انظر مثلا:

Robert Fisk, "Who cares in the Middle East what Obama says?", *Independent*, 30-5-2011.

^{١٤٣} - أخبار العالم، ١٣-٨-٢٠١١.

^{١٤٤} - ذكرت صحيفة "حرييت" أن الاستخبارات التركية حذرت من أن "مجموعتين مكونتين من ستة إرهابيين دخلوا من سورية إلى تركيا من بينهم انتحارية"، مشيرة إلى أن "المجموعة تخطط للقيام بعملية انتحارية بالقرب من وحدة عسكرية". (السفير، ٢٦-٨-٢٠١١).

^{١٤٥} - "حشود عسكرية تركية على الحدود استعدادا للتدخل وفرض منطقة عازلة في سورية"، العربية، ١٢-٨-٢٠١١، أخبار العالم، ١٢-٨-٢٠١١.

قابلية معاكسة؟) بما يجري في سورية، وخاصةً في البعد القومي والمذهبي، إذ تضم تركيا أثنية كردية وازنة ونشطة، ولديها مطالب سياسية وثقافية وقومية لا يمكن الاستمرار في تجاهلها. ويمكن تركيز تجليات البعد الأثني في موقف تركيا من أحداث سورية في النقاط التالية:

- توصيف الأحداث في سورية تحت عناوين "الملل والنحل"، ومن ذلك التكرار "غير البريء" أو "القصدي" لمسميات وعناوين مثل "السنة" و"علويين". وقد قال أردوغان في ٣١ آذار / مارس ٢٠١١ خلال زيارة له إلى لندن، إن الرئيس بشار الأسد "اسم محبوب في سورية، وعنده ميزات مصدرها من زوجته، ومن كونه علويًا وزوجته سنية، وهذا جعل منه حالة تحضن كل سورية"^(١٤٦).

هذا التوصيف للأمور يبدو غريبًا عن قاموس السياسة في سورية، لأنه غير مطابق لمفردات ومسميات السياسة العامة أو الثقافة السياسية في البلاد، كما أنه يندرج في إطار توصيفات ومسميات أردوغان للوضع في تركيا نفسها، فهو يتحدث أيضًا عن "سنة" و"علويين" هناك.

- التحذير من "مجازر" على غرار "حلبجة" في العراق، والتّهويل من مخاطر اندلاع صراع طائفي، يمكن أن ينتقل من سورية إلى تركيا. وقد انطوى ذلك على مقارنة "فجة" للأمور، ونوع من التشبيه القصدي ولكن غير المطابق لواقع الحال، وخاصةً أنّ تركيا نفسها استحضرت حادثة تخصّ الكرد، فيما قصّتها مع "أكرادها" ليست أفضل حالًا مما كانت حال أكراد العراق مع الدولة المركزية في بغداد.

- الدخول على خطّ "التركمان" في سورية، وتحريض أو تشجيع أطراف منهم على التظاهر، و"إعداد" و"إخراج" عمليات نزوح "مُتلفز" إلى معسكرات أعدت مسبقًا لذلك. وقد فاجأ ذلك المتابع السوري، من أن تكون تركيا دخلت على خطّ التكوين الأثني، فيما حاولت سورية "تحييد" ذلك في علاقاتها مع تركيا، بدافع المحافظة على اندفاع تلك العلاقات وتطورها.

^{١٤٦} - السفير، ١-٤-٢٠١١

- "تدخلت" تركيا على خطّ "العرب في تركيا"^(١٤٧) من أجل التأثير في مواقفهم ومداركهم بشأن الأحداث في "الوطن". وذلك في المناحي الرئيسية التالية:
- تنظيم مظاهرات مستمرة ضدّ النظام في سورية، وخاصةً أيام الجمعة وفي الجوامع وأمام السفارة السوريّة في أنقرة والقنصلية السورية في إسطنبول^(١٤٨). وقد قامت مظاهرات مؤيِّدة لنظام الرئيس بشّار الأسد في لواء اسكندرون وأنطاليا ومناطق أخرى، وخاصةً خلال عقد اجتماع للمعارضة السوريّة في مدينة أنطاليا (٥/٣٠ - ٦/٢ - ٢٠١١) (١٤٩).
- عقد ندوات ومؤتمرات حوارية ولقاءات تضامنية لطلاب واقتصاديين.. إلخ، ضدّ النظام وتأييدا للمعارضة السورية. من ذلك مثلا، الاجتماع الذي عقده في أنقرة "جمعية الصداقة والتضامن الثقافيّ مع رجال الأعمال والصناعيين السوريين" لمناقشة تطوّرات الوضع في سورية، وقد حظي هذا الاجتماع الذي جرى في "نادي المعلمين" في أنقرة بمشاركة كبيرة من السوريين والأتراك من أصلٍ سوريّ^(١٥٠).
- "تشجيع" عرب تركيا على اتّخاذ مواقف من شأنها التأثير في الموقف في داخل سورية. وقد أصدر عرب ماردين - مثلا - بيانًا عن الأزمة في سورية، جاء فيه أنّ "عرب ماردين هم من القبائل العربيّة العريقة والقديمة التي انتشرت في مدينة ماردين ومحيطها منذ القدم وكانوا دائما وأبدا جزءًا لا يتجزأ من أمتهم العربيّة وخاصةً من أبنائها السوريين، حتّى وإن وقعت أراضيهم اليوم على أراضي دولة غير عربيّة وهي دولة تركيا الشقيقة. وبناءً على ذلك فهم يستتكرون كلّ ما يتعرّض له الشعب السوريّ بمختلف أعرافه وأتنيّاته من سفك للدّماء وأيا كانت اليد التي تسفكه، ويقفون صفاً واحداً إلى جانب إخوتهم من أبناء هذا الشعب"^(١٥١).
- أخذت المواقف التركية صورة قريبة من "الغزل" مع أطراف المعارضة والنّاشطين في الداخل، وهو ما يفسّر الشعارات والهتافات المؤيِّدة لتركيا في مناطق محدّدة، مثل حمص وبيانياس وتلكلخ وجسر

^{١٤٧} - لمزيد من المعلومات عن "العرب في تركيا"، انظر: عقيل سعيد محفوض، "العرب في تركيا: محور تواصل أم تأزيم؟"، مؤتمر العرب وتركيا: تحديات الحاضر ورهانات المستقبل"، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ١٨ و١٩ أيار / مايو ٢٠١١.

^{١٤٨} - انظر مثلا: "مظاهرات في مدينة إسطنبول التركية تندد بالعنف ضدّ المحتجّين في سورية"، روسيا اليوم، ١٦-٤-٢٠١١.

وقال مسؤول في "جمعية وقف حقوق وحرّيات الإنسان والمساعدات الإنسانية" التركية، إن مظاهرة حاشدة شهدتها ميدان بيازيد أمام جامعة إسطنبول بعد صلاة الجمعة، موضّحاً أنّ الجمعية نظّمت بالتعاون مع ١٣ منظمة وجمعية تركية مظاهرات احتجاجية على ممارسات النظام السوري تجاه مظاهرات الشعب السوري السلمية المطالبة بالحرية.

^{١٤٩} - الوطن، ٢-٦-٢٠١١.

^{١٥٠} - تركيا اليوم، وكالة جيهان التركية للأخبار، ٢٧-٧-٢٠١١.

^{١٥١} - انظر مثلا بيان عرب ماردين بتاريخ ٧-٥-٢٠١١، في:

الشَّغور وحماة، حيث رفع علم تركيا وظهرت كتابات وصور مؤيِّدة لأردوغان، ويطالب بعضها بتدخُّل تركيا في الأزمة السوريَّة^(١٥٢).

- نقلت صحيفة "حرييت" عن مسؤول تركي رفيع المستوى، طلب عدم الكشف عن اسمه، تصريحات تنطوي على قراءة مذهبيَّة وطائفية للأزمة السوريَّة، عندما قال "إنَّ الحكم في سورية هو في يد أقلية علويَّة على صلات قري مع الشيعة في المنطقة وإيران". وانطلاقاً من ذلك فإنَّ الدَّعم الإيراني (الشيوعي) لسورية هو من عوامل استعداد تركيا للمشاركة في تدخُّل عسكريٍّ ضدَّ سورية^(١٥٣).

٤ - التجليات الإعلامية وتمكين الاتِّصال

يقف المشهد الإعلاميُّ التركي موقفاً متقارباً مع موقف الحكومة من الأزمة السوريَّة، من حيث التَّغطية الإعلامية، ومقالات الرأي، التي لا تخرج عن الخطوط العامَّة لموقف الحكومة من الأزمة^(١٥٤)، بل إنَّ الإعلام غالباً من يكون جبهة تحريض وتحفيز داخليٍّ وحشد للرأي العامِّ للوقوف مع السياسة الخارجيَّة للحكومة أو تهيئته لما هو أبعد من ذلك.

- يوجّه الإعلام في تركيا مطالب نشطة للحكومة من أجل تدخُّلٍ واسع النطاق في الشَّأن السوري^(١٥٥)، تحت عناوين وذرائع شتى^(١٥٦)، يأتي في مقدِّمتها تأييد المطالب بالتغيير ومساعدة السوريِّين على "إسقاط النظام"، أو كنوع من سياسة وقائيَّة لمنع انتقال جانب من الأزمة إلى تركيا سواء بوجهها الكرديِّ أو المذهبيِّ.

^{١٥٢} - أخبار العالم، ١٣-٥-٢٠١١.

^{١٥٣} - السفير، ١٥-٨-٢٠١١. وهناك في المقابل تحفظات لحزب الشعب الجمهوري وحزب العمال وأحزاب أخرى على سياسة حزب العدالة والتنمية تجاه الأزمة السوريَّة، وإدارتها لملف "اللاجئين"، ومحاولات التحريض والتوتير المذهبي، وبالأخص في منطقة اسكندرون، حيث يوجد مزاج متعاطف مع سورية ونظام الرئيس بشار الأسد، انظر:

Hasan Kanbolat, "Syrian reflection on politics in Hatay", *Today's Zaman*, 10-8-2011.

^{١٥٤} - انظر مثلاً:

Fatma Dişli Zibak, "Syria must heed int'l warnings", *Today's Zaman*, 8-8-2011.

Ergun Babahan, "Saddam failed to see it, so has Assad", *Today's Zaman*, 8-8-2011.

Abdulhamit Bilici, "Will Assad listen to Turkey or follow in Saddam's footsteps?", *Today's Zaman*, 12-8-2011.

^{١٥٥} - انظر مثلاً:

İlhan Tanır, "Ankara must lead the pressure against Damascus", *Hurriyet Daily news*, Istanbul: 5-8-2011.

^{١٥٦} - Suat Kiniklioğlu, Questioning Turkey's 'doves' on Syria", *Today's Zaman*, Istanbul: 10-8-2011.

- لم تنتظر وسائل الإعلام التركية اتّضح الموقف في سورية، بل بادرت إلى حملة مفتوحة لا تزال مستمرة حتى الآن ضدّ الأسد شخصياً. وما يفاقم علامات الدّهشة أنّ وسائل الإعلام القريبة جداً من حزب العدالة والتّمنية، مثل صحف "ستار" و"تركيا" و"يني شفق"، وتلك التابعة لرجل الدّين التركي الموجود في أميركا فتح الله غولين، مثل "زمان"، كانت الأكثر شراسةً في هذه الحملة، ومنذ اللحظة الأولى، فبادر العديد من الكتّاب الإسلاميين، الذين كانوا يدعون إلى وحدة تركيا وسورية، إلى المواقف الأكثر تطرّفًا في حملة التّشويه غير المسبوقة في صورة لا يمكن فهمها^(١٥٧).
- عملت تركيا على "إخراج" أو "هندسة" الصّورة فيما يتعلّق بالمشهد السوريّ من خلال ترتيب مخيّمات لاستقبال اللاجئين، وعرضها بكيفية تدلّ على اللجوء، وأحياناً ما كانت المخيّمات نوعاً من التّغطية لفرار مسلّحين مدعومين من الجانب التركيّ نفسه، هذا إلى جانب البعد الإنسانيّ.
- ربّبت تركيا زيارة للممثّلة الأميركيّة أنجيلينا جولي إلى المخيّمات في لواء اسكندرون^(١٥٨)، وأعطى ذلك بعداً إنسانياً عالمياً للمشهد السوريّ، إلى جانب زيارات مسؤولي مفوضيّة شؤون اللاجئين^(١٥٩)، ومفوضيّة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتّحدة^(١٦٠)، ومجلس أوروبا^(١٦١)، وغيرهم.
- أصبحت مخيّمات اللاجئين والجانب الآخر من الحدود مع تركيا حيّز نشاط إعلاميّ واسع النّطاق، وقد تمّ نصب كاميرات دائمة لمراقبة وتصوير مستمرّ لما يحدث على الحدود بهدف التّغطية الإعلاميّة الموسّعة.
- تمكين المعارضة في مناطق قريبة من الحدود من الاتّصال عبر شبكات خلويّ تركيّة وباستخدام تقنيات بثّ فضائيّ، وثمة تقارير عن خلويّ تركيّ مشبوه، كشبكة الخلويّ الثالثة في لبنان التي شاع لها دور في اضطرابات سورية!^(١٦٢). وقد تمّ عقد اجتماعات عديدة، منها اجتماع إسطنبول (٢٧-٢٧)

^{١٥٧} - السفير، ١٧-٥-٢٠١١. وانظر مثلاً:

Murat Yetkin, "Assad has nine lives", *Hurriyet Daily news*, Istanbul: 10-8-2011.

^{١٥٨} - "Angelina Jolie visits Syrian refugees, thanks Turkey for assistance", *Today's Zaman*, 17-6-2011.

^{١٥٩} - أخبار العالم، ١٠-٦-٢٠١١.

^{١٦٠} - قناة التركيّة الرسميّة الناطقة بالعربيّة، ١٧-٦-٢٠١١.

^{١٦١} - "وفد من مجلس أوروبا يزور مخيمات لاجئين سوريين في تركيا"، *الأخبار*، الكويت، ٢٤-٧-٢٠١١.

^{١٦٢} - خليل حرب، "أردوغان، لماذا يتحرش بسورية؟"، *السفير*، ١٦-٦-٢٠١١.

٣٠ تموز / يوليو ٢٠١١)، من أجل مساعدة المعارضة في "التنظيم الرقمي" لعملياتها، وتمكينها من استخدام وسائل الاتصال والهواتف الذكية، إلخ^(١٦٣).

- قامت وسائل الإعلام التركيّة بتغطية واسعة لمؤتمر المعارضة السوريّة في أنطاليا (٣١ نيسان / أبريل - ٣ أيار / مايو ٢٠١١)، فيما بدا أنّها أهملت المرسوم رقم ٤٩ لعام ٢٠١١ القاضي بمنح الجنسيّة السوريّة للأكراد المدرجة أسماؤهم في "سجلات الأجنبيّ" في الشّؤون المدنيّة بالحسكة^(١٦٤).

- بثّ الإعلام التركيّ الكثير من المواقف والتّسريبات التي لم تشأ الحكومة التركيّة تبنيها مباشرة، ومن ذلك مثلا الحديث عن "الملاذات الآمنة"^(١٦٥)، والتّهديدات والتّحذيرات المباشرة بالتوغّل في الأراضي السوريّة، والتّحريض الدينيّ والمذهبيّ الذي خرج عن الأبعاد السياسيّة التقليديّة ليصبح استثمارا مبالغا فيه داخل تركيا نفسها.

- أظهر الإعلام التركيّ مواقف المحتجّين والمعارضة السوريّة المؤيّدّة لمواقف رجب طيب أردوغان تجاه الأزمة السوريّة، بكيفية تعزّز موقف أردوغان نفسه لدى شرائح من الرّأي العامّ في تركيا.

خامساً - تركيا والمعارضة السوريّة

تشكّل المعارضة السوريّة بالنسبة إلى تركيا رهانا جدّيّا تعمل من أجل "إنضاجه" و"بلورته"، وتقوم بكلّ ما هو ممكن من أجل "جعله" خيارا واقعيّا وقوّة سياسيّة وحتّى "ميدانيّة" وازنة. وقد بدأت قصّة تركيا مع المعارضة قبل سنوات عديدة، وسبق لنوّاب من "حزب العدالة والتنمية" أن تحدّثوا مع الرئيس بشّار الأسد بخصوص "الإخوان المسلمين"؛ كما أنّ الإعلام التركيّ، المقرب من حزب أردوغان وحكومته، يواصل الإشارة إلى الظاهرة السوريّة من منظار انتقاديّ قريب لطح "الإخوان".

^{١٦٣} - الأخبار، ٢٨-٧-٢٠١١.

^{١٦٤} - السفير، ١٧-٥-٢٠١١.

^{١٦٥} - انظر مثلا:

Robert Fisk, "Who cares in the Middle East what Obama says?", *Independent*, 30-5-2011. & Soner Cagaptay, "A Turkish Buffer Zone Inside Syria?", *Hurriyet Daily news*, 3-7-2011.

وقد كشفت الأحداث الأخيرة في سورية عن واقع جديد، وبذلك أمكن لتركيا أن تقوم بإجراءات علنية وصريحة، وتمثلت أولى الخطوات في عقد مؤتمر "الإخوان المسلمين" في تركيا، وكذلك وجود المشرف العام لـ"الإخوان المسلمين" في تركيا، وإطلاقه تصريحات معادية للنظام في سورية، وقيادته عمليات أو مشاركات "الإخوان" في الأحداث^(١٦٦).

وقال أحد المسؤولين السوريين، إنّ "القيادة السورية أدرت، ولو متأخراً، أنّ حركة الاحتجاج التي ضربت سورية أخيراً إنّما كانت منظّمة ومنسّقة من الإخوان المسلمين، وأنّ بعض هؤلاء يتحرّك من مقرّ إقامته في تركيا... والسلطات السوريّة تملك من الأدلّة الملموسة من تسجيلات ومراسلات ومعلومات ما يقطع أيّ شكّ في هذه الخلاصة، وإن كان نشرها لم يحنّ توقيته بعد، من بينها إذاعة قدّمتها تركيا إلى إخوان سورية الذين يبيّثون من خلالها موادّ إعلامية معارضة"^(١٦٧). فيما قال أحمد داوود أوغلو خلال زيارته إلى سورية (نيسان / أبريل ٢٠١١) إنّ "الخطوات التركيّة جاءت لاستيعاب الإخوان المسلمين، لا من أجل إثارة فتنة، ولا الإضرار باستقرار سورية"^(١٦٨).

وقد رعت تركيا عقد نشاط معارض آخر سمّي بـ"مؤتمر عشائر سورية"، ثمّ مؤتمر أنطاليا الذي عُقد تحت عنوان "المؤتمر السوريّ للتغيير" (٣٠ أيار / مايو - ٢ حزيران / يونيو ٢٠١١)، وحضره ما بين ٢٧٥ إلى ٣٠٠ شخصاً من المعارضين في الخارج وعدد من الشركاء من تركيا والولايات المتحدة ودول أوروبية وعربية^(١٦٩). وقد تمّ الإعداد للمؤتمر والتنسيق والتمويل بجهود تنسيق واستخبارات نشطة ومتعدّدة.

واعترض على المؤتمر معارضون سوريّون مثل برهان غليون وحسن عبد العظيم وغيرهم. وكان سبب الاعتراض هو كون المؤتمر أو عدد من منظّميه والحاضرين فيه يرتبطون بأجندات خارجية، أميركية وأوروبية، ومنها ما يتعلّق بأجندات تخصّ تركيا نفسها، التي قال برهان غليون "إنّها تريد أن تتصّب تنظيم الإخوان المسلمين على رأس المعارضة السورية"^(١٧٠).

^{١٦٦} - السفير، ٤-٤-٢٠١١.

^{١٦٧} - الأخبار، ١٢-٤-٢٠١١.

^{١٦٨} - المصدر نفسه.

^{١٦٩} - الأخبار، ٣-٦-٢٠١١.

^{١٧٠} - دي برس، دمشق، ١-٦-٢٠١١.

وقد حاول ناشطون سوريّون التّظاهر للتّناديد بالمؤتمر، ووصل نحو ٥٠٠ مواطن إلى أنطاليا، لكن السّطات التركيّة ضيّقت عليهم بشكل غير متوقّع، كما أنّها طلبت منهم مغادرة تركيا، واقتادتهم بعد ذلك إلى المطار^(١٧١). وهو ما بدا مناقضاً لتصريحات سابقة لأردوغان نفسه، بأن تركيا التي فتحت أبوابها للمعارضين، أبوابها مفتوحة أيضاً للمؤيدين للرئيس بشّار الأسد.

- اتّفتت تركيا و"الإخوان" على تفسير الأحداث وتوصيفها على أنّها مطالب شعبيّة. وهناك تشابه من حيث تحديد طبيعة المطالب وإيقاعها، وخاصّة ما قاله إبراهيم كالين مستشار الرئيس عبد الله غول، من ضرورة إشراك الإسلاميين في السلطة^(١٧٢).

- رفض تفسير النّظام السياسيّ للأحداث، وخاصّة ما يتعلّق بوجود خطط وعمليات خارجية وداخليّة لزعزعة استقرار سورية. وتقول تركيا والمعارضة السورية إنه لا وجود لمؤامرة خارجية^(١٧٣).

- تقوم تركيا بدور "العراق" للمعارضة السوريّة، وهي تواصل تنسيق وتنظيم مؤتمرات للمعارضة في تركيا، كما توجّه رسائل إلى الداخل السوريّ بشأن قيامها بالضغط على النّظام السياسيّ من جهة، والتّشجيع على مواصلة التّظاهر. وقد أظهر متلقّو تلك الرسائل ردوداً واضحة على ذلك من خلال رفع صور ولافتات وهتافات مؤيِّدة لتركيا، وشاكرة لأردوغان الدّعم الذي يقدّمه للمعارضة^(١٧٤).

- الإدارة الحذرة لملفّ "اللاجئين"، بحيث يكون "جرحا نازفا"، وعدم التّسيق الجادّ مع الجانب السوريّ، حتّى أنّ الهلال الأحمر التركيّ رفض مساعدة الهلال الأحمر السوريّ في هذا الخصوص^(١٧٥). كما أنّ أحد مخيمات اللاجئين اعترض فريق الصّليب الأحمر الدوليّ بالحجارة وإطلاق النار عندما حاول الدّخول إلى المخيم عن طريق الجانب السوريّ من الحدود^(١٧٦)، وهذا لا يحدث "عفوياً" ولا بدّ من ارتباط ما بينه وبين إرادة تركيا في أن تكون هي "المدخل الحصريّ" للتّعاطي مع هذا الملفّ.

^{١٧١} - الوطن، دمشق، ٣-٦-٢٠١١.

^{١٧٢} - زمان، إسطنبول، ٢٣-٥-٢٠١١.

^{١٧٣} - وطن، إسطنبول، ٣١-٣-٢٠١١.

^{١٧٤} - أخبار العالم، ١٣-٥-٢٠١١.

^{١٧٥} - روسيا اليوم، ١٧-٦-٢٠١١.

^{١٧٦} - سانا، ٢٩-٦-٢٠١١.

- تشكّل الخطط المرسومة لإقامة "الملاذات الآمنة"^(١٧٧)، ومخيّمات اللاجئين، مدخلا محتملا لتنسيق أعمال المعارضة، من أجل الدّخول إلى البلاد على غرار المسار الليبيّ.
- عُقد مؤتمر للمعارضة السوريّة في إسطنبول (١٦ تموز / يوليو ٢٠١١)، باسم "مؤتمر الإنقاذ الوطني"، والذي أعلن عن "حكومة ظلّ"، من المفترض أن تكون جاهزة لتسيير شؤون سورية في "مرحلة ما بعد الأسد"^(١٧٨). وحضر المؤتمر نحو ٣٥٠ معارضاً، وانتخبوا "مجلس إنقاذ" يضمّ ٢٥ معارضاً من الخارج، على أمل انتخاب ٥٠ آخرين من الداخل. ودعا المؤتمر إلى نقل السّلطة في سورية سلمياً إلى حكومة وطنية وتألّف هيئة إنقاذ من ٧٥ عضواً يمثلون جميع أطراف المعارضة السورية من الداخل والخارج لإدارة المرحلة الانتقاليّة^(١٧٩).
- انتقدت وكالة الأنباء السوريّة الرسميّة "سانا" اجتماع المعارضين في إسطنبول معتبرةً أنّه "اتّسم كغيره من اجتماعاتهم السابقة بكلمات تحريضيّة ضدّ وطنهم واستتجاد المتحدّثين فيه بالخارج لتحقيق أطماعهم في السّلطة". وقالت "سانا" إنّ "دعاة حقوق الإنسان من المجتمعين كانوا الأكثر تحريضاً على العنف والتّخريب وتحديّ الدولة والخروج على القانون"، مشيرةً إلى أنّ الاجتماع تزامن مع زيارة لوزيرة الخارجيّة الأميركيّة هيلاري كلينتون إلى إسطنبول^(١٨٠).
- اجتمع نحو ٢٠٠ ناشط سوري، أتوا من سورية ومن الولايات المتحدة وأوروبا والسعودية، في إسطنبول (٢٧-٧-٢٠١١) لمدة ٤ أيام بهدف تنسيق الحركة الاحتجاجية في سورية. وقال أحد المنظمين، إن الاجتماع هو "لقاء إستراتيجي"، ويشمل "ورش عمل عن تكنولوجيايات الهواتف الذكية ومختلف أنواع الهواتف المتصلة بالأقمار الصناعيّة، وما يمكن استخدامه في نزاع مثل هذا. كما سيبحث المجتمعون سبل الاتصال بأمان مع الأشخاص في سورية"^(١٨١).
- عقد معارضون سوريون من التيار الإسلامي في ٢٠ و٢١ آب / أغسطس ٢٠١١ اجتماعاً في إسطنبول من أجل التمهيد لإعلان "المجلس الوطني [الانتقالي] السوري" الذي يفترض أن ينسق عمل المعارضة السوريّة. ويتألّف المجلس المذكور من ١٢٠ عضواً نصفهم من الخارج والنصف الآخر

^{١٧٧} - انظر مثلاً:

Robert Fisk, "Who cares in the Middle East what Obama says?", *Independent*, 30-5-2011. & Soner Cagaptay, "A Turkish Buffer Zone Inside Syria?", *Hurriyet Daily news*, Istanbul: 3-7-2011.

^{١٧٨} - اليوم السابع، القاهرة، ١٤-٧-٢٠١١، أخبار العالم، ١٤-٧-٢٠١١.

^{١٧٩} - السفير، ١٨-٧-٢٠١١.

^{١٨٠} - سانا، ١٧-٧-٢٠١١، السفير، ١٨-٧-٢٠١١.

^{١٨١} - الأخبار، ٢٨-٧-٢٠١١.

من الداخل". وقد قامت "لجنة تحضيرية" بالعمل طيلة أسبوعين قبل عقد هذا الاجتماع من أجل "وضع معايير تمثيل لمختلف القوى السياسية في سورية"^(١٨٢).

- قال أرشاد هرموزلو كبير مستشاري الرئيس التركيّ عبد الله غول، إنّه "يجب على الشعب والنظام والمعارضة في سورية إدراك حقيقة عدم وجود أيّ أجنّات خفيّة لدى أنقرة في الشأن السوري". وأمل هرموزلو بأن "توحّد المعارضة السورية قواها لتكون قويّة أمام العالم"، مشيراً إلى أنّ الأمر "متروك بعد اليوم للشعب السوري مع تعدّد السيناريوهات تجاه هذا الوضع الخطير"^(١٨٣).

سادساً - المقولات التركيّة في الموقف من الأزمة السوريّة

يمكن تركيز المقولات التركية العامّة بشأن أحداث سورية في النقاط التالية: التغيير والديمقراطية، والموقف الأخلاقيّ وإرادة الشعوب، والآداب السلطانية أو النّصيحة، و"العبء التركي" أو "ما يجب القيام به" تركيا، والتحدّيات الماثلة أو المخاوف من عدم الاستقرار والحرب الأهليّة والتقسيم.

١ - التّغيير والديمقراطيّة:

يقول الأتراك بضرورة التّغيير والإصلاح السياسيّ استجابةً لمطالب الشعوب، ويجب أن يتقرّر كلّ شيء من خلال صناديق الاقتراع. ويعدّ التّظاهر السلميّ والإصلاح السياسيّ شرطين لا بدّ منهما في الزمان الإقليمي الراهن، وأنّ تركيا لا تستطيع التّغاضي عمّا يحدث في المنطقة -ومنها سورية- استجابةً لاعتبارات مصلحة وعلاقات شخصيّة مع قادة وزعماء، لأنّ إرادة الشعوب أوّلا.

وقد تحدّث أرشاد هرموزلو مستشار الرئيس عبد الله غول عن ذلك بقوله: "كان من الطبيعيّ أن تدعم تركيا مطالب الشعب السوري، مثلما فعلنا في جميع الدول العربية التي حصلت فيها انتفاضات شعبية. كذلك كان من الطبيعيّ أن نخاطب السلطة السورية بأنه يجب الإصغاء للمطالب المحقّة والعدالة للشعب السوري"^(١٨٤).

^{١٨٢} - السفير، ٢٢-٨-٢٠١١. وانظر:

"Syrian opposition seeks united front in Istanbul", *Today's Zaman*, 21-8-2011.

^{١٨٣} - أخبار العالم، ٢٨-٨-٢٠١١.

^{١٨٤} - الأخبار، ٢٥-٥-٢٠١١.

وقال هرموزلو إن القيادة التركية "أبلغت نظيرتها السورية أكثر من مرة أننا لسنا ضدّ أيّ نظام ولا مع أيّ نظام، بل نحن دائماً مع الشعوب؛ وهناك حاجة إلى التغيير في المنطقة، وبدل أن يُفرض هذا التغيير من الخارج، فليحصل من الداخل، والحلّ لا يكمن في استخدام القوّة والعنف، بل بأن يتقدّم القادة والرّعاء على شعوبهم من خلال الإسراع في تنفيذ الإصلاحات"^(١٨٥).

وقال وزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو "إن تركيا تشعر بقلق تجاه ما يحدث ولديها موقف واضح يتمثّل في ضرورة تحقيق السلطات السورية الإصلاحات والمطالب الشرعية للشعب، ووقف المواجهات عبر جدول زمني ينهي هذا التوتر"، وأضاف: "نحن نعمل بجِدّ لتحقيق عملية الإصلاح من دون الإضرار بالاستقرار في سورية.. الوقت حان لسورية كي تتصرّف بحسم أكبر بشأن الإصلاحات السياسية"^(١٨٦).

٢ - موقف أخلاقي وإرادة الشعوب:

يركّز المسؤولون الأتراك على أنّ موقفهم من الأحداث في سورية يصدر عن رؤية أخلاقية، تعطي الاعتبار الأهم لإرادة الشعوب في التغيير، ويمكن التركيز في هذا الجانب على النقاط التالية:

- قال أحمد داود أوغلو إنّ ما يحدث في الدول العربية هو تعبير عن إرادة تلك الشعوب، وإن الشرق الأوسط في بداية مرحلة جديدة، وأنه لا بدّ من استيعاب مطالب التغيير والإصلاح بأيدي قادة المنطقة^(١٨٧).

- قال داود أوغلو في حوار تلفزيوني على محطة "تي في نت" يوم ٢٩ أيار / مايو ٢٠١١ إن تركيا تعرض "موقفاً أخلاقياً" بشأن ما يجري في سورية. وأضاف "قلنا للأسد إننا سنقدم له كل أنواع الدعم في موضوع التغيير. لقد تقاسمنا معه كلّ شيء، وأعرينا عن القلق بالقول له: إننا مثل أي سوري قلقون على مستقبل سورية ونريد بذل كل الجهود. ومثل أي سوري أقول يجب أن نقود نحن (أي السوريون) هذا التغيير"^(١٨٨).

١٨٥ - الأخبار، ٢٥-٥-٢٠١١.

١٨٦ - أخبار العالم، ١٠-٦-٢٠١١.

١٨٧ - ملبيت، إسطنبول، ٢٣-٣-٢٠١١.

١٨٨ - السفير، ٣-٥-٢٠١١.

- قال أرشاد هرموزلو كبير مستشاري الرئيس عبد الله غول، "إنّ تركيا غير قلقة من التغيير الذي قد يحصل في دول صديقة جدًا، حتى لو كانت سورية، ببساطة لأن أنقرة تدرك أنّ الشعوب العربية تتقدم حكامها من ناحية النظرة الإيجابية إلى تركيا وإلى دورها، بالتالي فإنّ تغيير الأنظمة لن يعني انهيار العلاقات مع تركيا"^(١٨٩).

- قال رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، إن على النظام السوري الإقلاع فوراً عن إراقة دماء الأبرياء، محدّراً بالقول: "إنّ الذين يسعون للوصول إلى مقاصدهم عن طريق إراقة الدماء سيغرقون - عاجلاً أم آجلاً - في بحر الدماء المسفوكة". وقال: "لا يمكن للطّغاة أن يستمرّوا على ظلمهم إلى الأبد"^(١٩٠).

٣ - الآداب السلطانية: النصيحة

تركز التعليقات السياسيّة شبه اليوميّة للمسؤولين الأتراك عن الأحداث في سورية على ما يقولون إنه نصائح سابقة وحالية، يقدمونها للرئيس بشار الأسد من أجل الإصلاح، وهو موقف بات علامة فارقة في الخطاب السياسي والإعلامي وكذلك السلوك السياسي الرسمي لتركيا تجاه سورية. وينطوي الأمر على ممارسة ضغوط سياسيّة على شكل "دروس" و"نصائح"، ويتجاوز ذلك منطق (أو لا منطق) النصيحة في العلاقات بين الدول إلى نوع من "الدعوية" السياسيّة التي تنطوي أيضاً على مخاطبة للذهنية الاجتماعيّة والثقافية للناس في سورية والمنطقة. ويمكن التركيز في هذا الجانب على النقاط التالية:

- تحدّث رئيس وزراء تركيا رجب طيب أردوغان عن أنه لم يفاجأ بالتطوّرات في سورية، وأنه سبق له الحديث مطوّلاً مع الرئيس بشار الأسد عن ضرورة القيام بإصلاحات، وكان آخرها خلال اجتماعهما في حلب (٦ شباط/فبراير ٢٠١١)، بعد وضع حجر الأساس لبناء سدّ الصداقة على نهر العاصي.

وأعرب أردوغان عن تأييده لمشروع الرئيس بشار الأسد الإصلاحية، ولكنه من جهة أخرى أخذ يكرّر في مناسبات كثيرة ما قال إنّها "نصائح" قدّمها للرئيس الأسد، ولكنّه زاد على ذلك، وأخذ يعيد

^{١٨٩} - الأخبار، ٢٥-٥-٢٠١١.

^{١٩٠} - أخبار العالم، ٢٤-٨-٢٠١١.

"نصائحه" بشكل انتقادي، على غرار القول إنّ نصائحه كانت كفيّلة بتجنّيب البلاد ما حدث، وأنّ الرئيس الأسد لم يستجب بالكيفية المطلوبة^(١٩١).

- شدّد الرئيس بشار الأسد خلال استقباله لوزير الخارجية التركيّة أحمد داود أوغلو (٧ نيسان/ أبريل ٢٠١١) على انفتاح سورية للاستفادة من تجارب الدول الأخرى وخصوصاً تركيا وذلك لإغناء مشاريع القوانين التي وضعتها الجهات المختصة في مجال الإصلاح^(١٩٢). وقالت بثينة شعبان المستشارة السياسيّة والإعلاميّة للرئيس السوري، "إنّ النموذج التركي هامّ بالنسبة إلينا، وتركيا حقّقت تطوّرًا هائلًا في السّنوات الأخيرة، والعلاقات مع تركيا هامّة ولا يمكن العبث بها"^(١٩٣).

- جاء على لسان وزير الخارجية أحمد داود أوغلو، عند زيارته إلى دمشق (٦-٤-٢٠١١)، أنّ لقاءاته تمحورت حول كيفية استفادة سورية من التجربة التركيّة في الانتقال من نظام الحزب الواحد إلى نظام تعدّد الأحزاب في عام ١٩٤٦. وقد أكّد الصحافيّان جنكيز تشاندار وعبد الحميد بالجى، اللذان رافقا أوغلو، أنّ القسم الأكبر من مباحثاته مع الرئيس بشار الأسد (ساعتين من أصل ثلاث ساعات) تحوّل إلى "سيمنار" (حلقة نقاش) حول التجربة التركيّة، وأنّ اللقاء مع الأسد كان "خارقًا" لشدّة ارتياح الوزير التركيّ^(١٩٤).

- في ٢٧ أيار/ مايو ٢٠١١ قال وزير الخارجية أحمد داود أوغلو، إنه يعتقد أنّه من الممكن لسورية أن تنهي الاضطرابات ولكن "العلاج" يجب أن يكون "علاجًا بالصّدمة" يتضمّن إصلاحات في مجالات الاقتصاد والأمن والسياسة والقضاء. وأضاف "إذا تمّ البدء بالإصلاحات الآن، فإنّ هذا الأمر سيفتح الباب أمام التّغيير والسّلام". وأعرب عن اعتقاده بأنّ الرئيس بشار الأسد يريد الإصلاحات لكن "هناك عناصر معيّنّة داخل النظام" تعيق هذا الأمر.

١٩١ - تصريحات، ٣١-٣-٢٠١١.

١٩٢ - سانا، ٧-٤-٢٠١١.

١٩٣ - بثينة شعبان، حوار مع قناة التركيّة الرسميّة الناطقة بالعربيّة، ٢-٤-٢٠١١.

١٩٤ - السفير، ٨-٤-٢٠١١.

- نقلت "وكالة الأناضول" التركية الرسمية عن أردوغان قوله إنه اتّصل بالرئيس بشار الأسد يوم ٣١ أيار/ مايو ٢٠١١، ودعاه لاتّخاذ قرار جريء بإطلاق المعتقلين السياسيين، وبعد يومين أعلن عفواً عاماً. وقال: "سأتّصل بالأسد لأعبّر له عن امتناني"^(١٩٥).
- قالت وزارة الخارجية التركية إنّ خطاب الرئيس بشار الأسد في جامعة دمشق (٢٠ حزيران/ يونيو ٢٠١١)، "يحمل ملامح إيجابية وأخرى سلبية"، وإنّ عدداً من الوعود التي قطعها الأسد هي من بين النّصائح التركية التي وُجّهت إلى القيادة السورية منذ بدء اندلاع الأزمة، "غير أنّ اتهام الأسد لقوى المعارضة بأنها تتآمر على سورية بالتعاون مع قوى أجنبية، بالإضافة إلى الطابع الفضفاض لوعوده الإصلاحية، هي نقاط سلبية". وبرّر المسؤولون الأتراك موقفهم بأنه "سيكون على الأسد التحاور مع قوى المعارضة التي يتّهمها بالتآمر، لذلك فإنّ هذا الاتهام الموجّه لها أمر سلبيّ، لأنّ هذه التّصريحات لا تبني أجواء ثقة بين الأطراف المتصارعة"^(١٩٦).

٤ - "العبء التركيّ" أو منطق "ما يجب القيام به"؟

تتطلق تركيا في رؤيتها للأحداث في سورية ممّا تراه "عبئاً" سياسياً وأخلاقياً، بسبب من المشتركات الثقافية والتاريخية والمسؤولية المعنوية، إلى جانب متطلبات "النموذج" التي يقول الأتراك (وآخرون) إنّ عليهم الوفاء بها. وقد أشرنا من قبل إلى تأكيد المسؤولين الأتراك على أنّهم ينطلقون من اعتبارات أخلاقية في التّعاطي مع الشّأن السوريّ (والعربيّ)، وخاصةً بعد التغييرات الأخيرة.

ما نقوله عن "العبء التركيّ" يتدرّج من مقام النصيحة، إلى المساعدة في الإصلاح، إلى ممارسة الضغوط السياسية والإعلامية، وصولاً إلى تنسيق الجهود الإقليمية والدولية للتدخل في الأزمة السورية الراهنة. ذلك أنّ منطق "العبء" المشار إليه، قريب جداً من أن يكون، ليس مكيفيلية بالمعنى التقليدي وإنما "سوبر مكيفيلية"، لأنّ ما يصلح لسورية هو ما يعتقد الأتراك أنه صالح لها. وهنا على النظام السياسي أن يقوم بالإصلاحات بكيفية تجعل الآخرين يقرون أنّ هذا حدث بتأثير النّصائح أو الضغوط التركية، وإلا فإنّ ما قلنا إنه "عبء الأتراك" يتحوّل إلى وجهه الآخر وهو "ما يجب القيام به"، أي العمل على إحداث التغيير بوسائل شتى، يكون

195 - Anadolu Agency, 2-6-2011.

^{١٩٦} - أخبار العالم، ٢٢-٦-٢٠١١.

العامل العسكري والأمنيّ واحدا منها، ولو لم يكن في المقدّمة حتّى الآن. ولكن من دون ذلك عقبات وشروط ذاتية موضوعية كثيرة^(١٩٧).

وقد قال جوست لاجينديك، مستشار "مركز إسطنبول للسياسات"، "إنّ استيلاء أنقرة الكبير ممّا يجري في سورية، هو أنّ الأسد لم يستمع إلى النصائح التركيّة، وهو ما يقوّض ادّعاءات تركيا بأنّها خلال الأعوام الماضية، أصبحت اللاعب الإقليمي الأقوى، وهي التي كانت تقول دائما إنّ تحسّن علاقاتها مع سورية والعراق، أفضل نموذج على نجاح سياستها (صفر مشكلات)، مضيفاً أنه اتّضح أنّ تركيا، لا تتمتع بالنفوذ القويّ على جيرانها، مثلما تبيّن أنّ ما من دولة أخرى، لها نفوذها الحاسم على دمشق"^(١٩٨). وهنا يمكن أن نورد المؤشّرات التالية:

- قال داود أوغلو في ندوة بإسطنبول (٢٦- آذار/ مارس ٢٠١١) "حان وقت التغيير في الشرق الأوسط. وتركيا ستعمل على تحقيق الأمن والحريّات في هذه المرحلة الصّعبة من تاريخ الشرق الأوسط. وما كنّا نراه جيّداً لتركيا يجب أن نراه جيّداً للآخرين. وتركيا في هذا الإطار تدعم التّغيير في الشرق الأوسط، لكن طريقة التّغيير مهمّة أيضاً"^(١٩٩).

- وضعت تركيا خطّاً لإقامة "ملاذات آمنة" داخل الأراضي السوريّة في القامشلي وحتّى مدينة دير الزّور، ومناطق أخرى^(٢٠٠)، وذلك تفادياً لتدفّقٍ محتملٍ للاجئين إلى داخل تركيا في حال ظهر ما يدعو إلى ذلك^(٢٠١). وقد تمّ "تسريب" معلومات عنها، لأغراض سياسيّة وإعلاميّة ونفسيّة. وتحدّث أردوغان نفسه عن "ضرورة أن يتجنّب النظام السوريّ مغبّة الوقوع في خطأ تكرار ما وصفه بـ 'مذبحة حماة'، (لأن) ارتكاب مثل هذه الأخطاء سيتسبّب في مشاكل لا تتحمّلها سورية ولا المنطقة،

^{١٩٧} - انظر مثلاً:

Nihat Ali Ozcan, "Will Turkey risk fighting with Syria?", *Hurriyet Daily News*, 29-6-2011.

١٩٨ - السفير، ١٦-٦-٢٠١١.

١٩٩ - السفير، ٢٨-٣-٢٠١١.

^{٢٠٠} - انظر مثلاً:

Robert Fisk, "Who cares in the Middle East what Obama says?", *Independent*, 30-5-2011.

Soner Cagaptay, "A Turkish Buffer Zone Inside Syria?", *Hurriyet Daily news*, 3-7-2011.

²⁰¹ - Robert Fisk, "Who cares in the Middle East what Obama says?", *independent*, 30-5-2011.

وإذا تدهورت الأمور في سورية إلى 'مجازر' فسنكون مضطرين إلى القيام بما يجب القيام به" (٢٠٢).
ولكن ما هذا الذي "يجب القيام به"؟

- قال الرئيس التركي عبد الله غول إن تركيا "ستتخذ إجراءاتها الخاصة في حال اتجهت التطورات في سورية إلى السيناريو الأسوأ". وفي اليوم نفسه، ذهب رئيس الحكومة التركي رجب طيب أردوغان للقول إنه "لا يريد أن يرى مذبحه حماة تحدث مرة أخرى في سورية". وحذر من أن حدوث مثل هذه الأمور سيجبر المجتمع الدولي على اتخاذ موقف من سورية، مؤكداً أن بلاده ستتخذ الموقف نفسه في هذه الحالة (٢٠٣).

ونبه أردوغان الرئيس بشار الأسد إلى عواقب ما قال إنه "استمرار في قتل المدنيين"، وحذر من أن سورية لن تنهض مرة أخرى إن وقعت فيها مثل هذه المذابح، وطالب بـ "الإصغاء إلى مطالب الشعب السوري الطامح إلى الحرية"، مشيراً إلى أن الرئيس الأسد لم يتخذ الخطوات الجادة لتحقيق الإصلاحات حتى الآن (٢٠٤).

- كرّر رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، الالتزام بإبقاء الحدود مفتوحة أمام "كلّ الأشقاء السوريين". وقال إن "الأسد يستخفّ بالموقف ويصرّ على استخدام الوحشية ضدّ شعبه. وأنّ القضية السورية تختلف اختلافاً كلياً عن القضية الليبية"، مبيّناً أنّ الحكومة تعتبر القضية بمثابة قضية داخلية تخصّ تركيا بشكل أساس. وأكد أردوغان سعيه للتواصل مع الرئيس السوري بشار الأسد للتوصل إلى حلّ لتسوية الأزمة السياسيّة في البلاد. لكنه أوضح أنّ الأسد لا يستجيب لمطالب الإصلاح ولا يقوم بما تمّ الاتفاق عليه مع الحكومة التركيّة (٢٠٥).

- قالت صحيفة "تركيا" نقلاً عن صحيفة الرأي الكويتية أنّ الرئيس السوري بشار الأسد أكد لأهالي حماة ودرعا أنه مستعدّ للتّحّي عن السلطة. وقال الأسد "سأترك دفة الحكم إذا تأكّدت من عدم رغبة

٢٠٢ - السفير، ٢-٥-٢٠١١.

٢٠٣ - الأخبار، ٤-٥-٢٠١١.

٢٠٤ - الأخبار، ٤-٥-٢٠١١.

٢٠٥ - أخبار العالم، ١٠-٦-٢٠١١.

- الشعب ببقائي في الرئاسة"، ووعد الأسد الأهالي بمحاسبة كل من أمر بإطلاق النار على المتظاهرين، أو مارس التعذيب على المعتقلين^(٢٠٦).
- وجّه رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان رسالةً إلى الرئيس السوري بشار الأسد حذّر فيها من تفاقم الوضع في سورية. وتضمّنت الرسالة ما يلي: أن يقوم الأسد بوقف جميع العمليات العسكرية، وتوفير بيئة آمنة للمواطنين، والإصغاء لمطالب المعارضة، وإعلان خطة إصلاحات، وإحلال الأمن في البلاد. وكان أردوغان في حديث سابق له قد أفاد أن صبره نفذ حيال تفاقم الأحداث في سورية^(٢٠٧).
 - نقلت صحيفة حرييت بعض ما دار في الاجتماع بين رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان ومبعوث الرئيس السوري العماد حسن توركماني، في أنقرة (١٦ حزيران/ يونيو ٢٠١١). وقال أردوغان إنّ المشاهد الواردة من سورية "تقلق جدًّا كلَّ الشعب التركي". وحذّر أردوغان من أنّ أنقرة قلقة أيضا من توالي موجات نزوح السوريين إلى تركيا، و"إذا استمرّت على هذا المنوال فلا يمكن منع المجتمع الدوليّ من اتّخاذ إجراءات ضدّ سورية. نحن لم يبق شيء لنفعله. المسؤولية تقع الآن عليكم، ويجب أن توقفوا العنف فوراً"^(٢٠٨).

٥ - التحديات الماثلة:

يُركّز الخطاب السياسيّ في تركيا على وجود مخاوفٍ جدّية من انعكاسات الأحداث في سورية على الأمن القوميّ لتركيا، وخاصّةً في جهتي التكوين المذهبيّ الطائفيّ والتكوين العرقيّ. وتخشى تركيا وقوع صدامات مذهبية أو عرقية أو ربّما حرب أهليّة، وقد تتطوّر الأمور إلى تقسيم محتمل، وهو ما يمكن أن ينتقل إلى تركيا. وهذه سيناريوهات تتحدّث تركيا عنها، وعن مخاوفها بشأنها، ولكن سلوكها العمليّ أحيانا يوحي كأنما هي "تشتغل" من أجل حصولها(!). ويمكن تركيز الموقف من هذا الجانب في النقاط التالية:

- يجب الإسراع في الإصلاحات الداخليّة، بغضّ النظر عن طبيعة النظام السياسيّ الذي يمكن أن يتأتّى عنها، وذلك تفادياً لأيّ تطوّرات يصعب التحكم فيها أو السيطرة عليها، مثل اندلاع صدامات أهليّة، مذهبيّة أو عرقية.

٢٠٦ - تركيا، إسطنبول، ١٦-٦-٢٠١١.

٢٠٧ - تركيا، إسطنبول، ١٧-٦-٢٠١١.

٢٠٨ - السفير، ١٨-٦-٢٠١١.

- لدى الأتراك مخاوف من أن تتطوّر الأحداث في سورية إلى نوعٍ من التقسيم، وقد ذكر أردوغان أنه تقاسم هذا القلق مع الرئيس بشار الأسد خلال آخر زيارته لدمشق، وقال: "إنّ تركيا لا تريد، تحديداً، أن ترى أيّ نوع من الانفصال في سورية، ويجب ألاّ تسمح سورية بأيّ محاولات تمهّد الطريق للانفصال أو التقسيم"^(٢٠٩).

- تعرّز الأحداث الراهنة في سورية عدداً من النزاعات والصراعات الداخلية في تركيا، وخاصةً الصراع المذهبي (السنيّ - العلويّ) والصراع العرقيّ أو القوميّ (التركيّ - الكرديّ).

- ثمة في المقابل تطوّرات كردية مباشرة، لا تتّصل بالشأن السوريّ، مثل تلقّي أردوغان تحذيرات قويّة أطلقتها آيسيل توغلوّق نائبة رئيس "مؤتمر المجتمع الديمقراطيّ" التي قالت "إنّ الأكراد سيّخذون قرارهم، وإذا لم يكن ممكناً تأسيس ديمقراطية عبر الدولة فسيؤسّس الأكراد ديمقراطيتهم"، وقالت "إنّ الوضع الحاليّ سيتغيّر". ولكن التّهديد الأكبر جاء من عبد الله أوجلان زعيم "حزب العمال الكردستانيّ"، الذي قال: "حتّى اليوم أنا لم أحارب، كنتُ أدير الحرب. ولكن بعد ١٥ حزيران / يونيو ٢٠١١ سأنسحب من هذه المهمة (إدارة الحرب)"^(٢١٠).

- تلقّى رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان انتقادات شديدة من "الاتحاد العلوي البكتاشي" الذي أصدر بياناً أدان فيه ما قال إنّه "تحريض على الكراهية بين أتباع المعتقدات، وبممارسة السياسة باستخدام التّزعة الأثنيّة والمذهبيّة". وانتقد البيان أردوغان لأنّه "يبقى صامتاً أمام الجماهير التي يخاطبها وتواجه بصيحات الاستنكار كلّما وردت الإشارة إلى العلوية في خطابه". وجاء في البيان أيضاً "إنه لا يمكن إقامة سلام أهلي دائم إذا لم يدافع التركيّ عن حقّ الكرديّ، والكرديّ عن حقّ التركيّ، والسنيّ عن حقّ العلويّ، والعلويّ عن حقّ السنيّ"^(٢١١).

- يتساءل الأتراك عن إمكانية أن يعود التّنسيق بين سورية وحزب العمال الكردستانيّ؟ وهل يمكن أن يقوم الحزب بأعمال داخل تركيا كنوع من "ردّ الجميل" لسورية مقابل دعمها له سابقاً؟ ويقرّ العديد

٢٠٩ - الوطن أون لاين، ٢-٥-٢٠١١. السفير، ١٦-٥-٢٠١١.

٢١٠ - السفير، ١-٦-٢٠١١.

٢١١ - السفير، ٢٧-٥-٢٠١١.

من المتخصصين أنّ "عودة التنسيق احتمال ضعيف، إلا أنه وارد"^(٢١٢). وقد سبقت الإشارة إلى تقرير جهاز الاستخبارات التركيّ عن أنّ سورية - بعد الأحداث الأخيرة - أوقفت تعاونها الاستخباراتيّ مع تركيا في مجال مكافحة "الإرهاب"، وأنها تقدّم الدّعم لحزب العمّال الكردستاني، وبدأت تستضيف بعض قاداته كما كان الوضع قبل عام ١٩٩٩^(٢١٣).

سابعاً- السيناريوهات المحتملة للأزمة السوريّة (من منظور تركيا)

تُركّز التعليقات على الأحداث في سورية على مسارات تطوّر محتملة، يأتي في سياقها أو في القلب منها احتمالات الموقف التركيّ. ونحن هنا نتحدّث عن مسار فرعيّ للأمر حتّى لو كانت تركيا حاضرة في الأحداث بطريقة جدّية، لأن الأصل هو ما يجري في سورية، والأصل ما يقوم به السوريون. وهنا يمكن إيراد السيناريوهات الرّئيسة التالية من منظور تركيا:

السيناريو الأوّل: الإصلاح

ينسجم سيناريو الإصلاح مع الخطاب السياسيّ لتركيا، ومع فكرتها لتكون "نموذجاً" في المنطقة. وقد تواترت تصريحات ومطالب المسؤولين الأتراك بهذا الخصوص، ربما لأن هذا ضماناً للاستقرار السياسي في بلد أصبح بينهم وبينه وشائج قوية. ويصعب تصور أن تتطور الأمور في بلد منهما من دون أن تؤثر في الآخر، فكيف تكون الحال مع موجة التغيير في المنطقة العربية. وتتطوي فكرة الإصلاح على تغييرات تكون استجابة لمطالب الشعب، وأهمها - كما كان يعلن الأتراك دائماً - العفو السياسي، وإطلاق المعتقلين من كلّ الأطياف، وقوانين الأحزاب والإعلام والانتخاب ومكافحة الفساد، والإقرار بمبدأ تداول السلطة. ويتضمّن الموقف التركيّ مقترحات عامّة عن :

- ترتيب المشهد السوريّ على غرار التجربة في العراق، مثل تقسيم المقاعد في مجلس الشعب وإقرار نظام انتخابيّ وقوانين أحزاب وقضاء وأمن وطنيّ تراعي التعدّد العرقيّ والمذهبيّ في سورية بحيث لا يكون البلد عرضةً لاستقطابات فرعيّة قد تهدّد أمنه واستقراره.

٢١٢ - تركيا، ١٥-٥-٢٠١١.

٢١٣ - "تقرير للاستخبارات التركية حول الإرهاب: إسرائيل أفضل المتعاونين برغم الأزمة"، السفير، ٣٠-٨-٢٠١١.

- تسوية ملفّات العنف الداخليّ وتحميل مسؤوليّتها لأفراد محدّدين بحيث يكونون موضعاً للمساءلة والعقاب، وهنا لا بدّ من التوضيح ربّما بأفراد مقرّبين من النظام السياسيّ.
- الشراكة العمليّة والانفتاح السياسيّ على "الإخوان المسلمين" وتيارات الإسلام السياسيّ الأخرى.
- يكرّر الأتراك أنهم مستعدّون لتقديم الخبرات والنصائح الممكنة من أجل الإصلاح، ولكنهم يركّزون دائماً على دور "الناصح" و"الوكيل الحصري" لضمان جودة و"صواب" الإصلاحات، وهذا أمرٌ غير مألوف في العلاقات الدوليّة، وهو غير مقبول أدبيّاً وأخلاقياً، ويعدّ نوعاً من "الوصاية" و"الاستعلاء".
- يكون الإصلاح في ظلّ النظام نفسه، ولكن يجب أن يعدّ الأطر والقنوات للتغيير، حتّى أن النظام يمكن أن يتغيّر كليّاً ولكن عبر صناديق الاقتراع، ولا بدّ أن يقبل الرئيس بشار الأسد فكرة أن يكون رئيساً سابقاً.

السيناريو الثاني: تهيئة نظام بديل

ينسجم سيناريو النظام البديل مع احتمال تدهور الأوضاع في سورية، أو "الفشل" في التوصل إلى تسوية للأحداث الراهنة، أو "إفشال" مسار الإصلاح الداخلي، بحيث يميل الأتراك للبحث عن بديل للنظام القائم، أو العمل على تعزيز احتمالات محددة، مثل دعم تشكيل هيئات إدارية وتنفيذية وقيادية للمعارضة.

وهذا أمر قائم حتى مع تفضيل الأتراك النسبيّ للسيناريو الأوّل، إذا أن البراغماتية السياسية تجعلهم يسيرون في هذا المسار، لأغراضٍ أخرى، قد لا يكون منها "إسقاط" النظام السياسيّ، وإنّما "إضعافه" و"الهيمنة" عليه، أو الظهور بمظهر الحريص عليه من خلال التدخّل لدى المعارضة من أجل التّسوية، وهذا احتمال ولا تبدو ثمّة مؤشّرات واقعية نشطة عنه.

تقول تركيا إنّها "تستقبل" - والحقيقة أنها ترعى - المعارضة ليس بقصد التآمر على النظام، وإنّما لأنّ ظروف الديمقراطية لديها تفرض عليها ذلك، كما أن علاقتها بالمعارضة هي من أجل احتواء تحوّلها إلى العنف، أو من أجل المساعدة والتوسط، إلخ. وكلها مؤشّرات سياسية وبراغماتية يمكن استخدامها عند الحاجة.

والواقع أنّ ما تقوم به تركيا هو شيء شبيه بما حدث في ليبيا، وهو تهيئة الظروف لوجود معارضة منظّمة ونشطة وقويّة وقادرة على الانطلاق من تركيا نفسها أو منطقة "ملاذ آمن" محدّدة أو حتّى من بؤرة نشاط داخل سورية، مماثلة لـ"بنغازي" في ليبيا، وقد بات هذا الأمر معروفاً.

"وأنقرة هنا ليست بعيدة - رغم نفيها لذلك - عن تنظيم هذه المعارضة عبر استضافة مؤتمراتها في إسطنبول وأنطاليا والتّحضير لتشكيل مجلس وطنيّ انتقاليّ ومواكبة ذلك عبر العقوبات الأميركيّة والأوروبية على شخصيّات في النظام السوريّ ومنها الأسد وصولاً إلى قرارات من مجلس الأمن توفّر غطاءً شرعيّاً دولياً لخنق النظام والإطاحة به، وعلى الرّغم من أنّ الأتراك لا يحبّذون هذا السيناريو كخيار أوّل لكنّهم لا يعارضونه إذا كان هو الطّرح الوحيد المتبقيّ، خصوصاً أنّ تركيا باتت خبيرة في استضافة المعارضات ومنها المعارضة الليبيّة"^(٢١٤).

السيناريو الثالث: الفوضى أو الحرب الأهلية

ينطوي وقوع سورية في الفوضى والحرب الأهلية أو تحوّلها إلى "دولة فاشلة" على مخاطر كثيرة لتركيا، ولدى الأتراك مدارك نشطة بوجود مخاطر عالية على أمن بلدهم واستقراره، بسبب قابليّته لتلقّي تبعات ذلك، إذ أنّ التكوين العرقيّ والدينيّ والمذهبيّ والثقافيّ متقارب، ولدى تركيا ديناميّات انقسام وصراع داخليّ بكيفيّة قابلة للتفجّر، وخاصّةً في البعدين العرقيّ والمذهبيّ.

وقد أدّت التطورات الانتخابية، والاستقطاب والتوتّر الداخليّ قبيل الانتخابات وبعدها، إلى ارتفاع المخاطر الداخليّة بشأن المسألة الكرديّة، في ظلّ فشل أردوغان في التوصل إلى تسوية مع الأكراد، بل في اتّجاهه للتّصعيد معهم وخاصّةً فيما يتعلّق بظروف اعتقال أوجلان، أو مساعيه لتجريد النواب الأكراد المنتخبين من مقاعدهم لصالح مرشّحين من حزب العدالة والتّنمية. وهذا يُنذر بتطوّرات أمنيّة حادّة، إذا لم يتمّ التوصل إلى توافقات أو تسويات جادّة.

ولكن تركيا ليست مجرد متلقٍ للتأثيرات الواردة من سورية، فهي تعمل بشكل نشط على "هندسة" تطوّرات معيّنة، من خلال:

^{٢١٤} - محمد نور الدين، "تركيا وسورية: ٣ سيناريوهات"، الشرق، ٤-٦-٢٠١١.

- اتّصالها بالمعارضة في سورية، بحيث يكون لديها تأثير قويّ على خياراتها السياسيّة.
- القيام بتدخّلات ميدانيّة لدى الجماعات المسلّحة والعناصر النّشطة في مناطق قريبة من الحدود مثلاً. وتعزيز صورتها لدى مختلف أطراف المعارضة بأنّها مؤيّدّة لها، وهذا أمر يؤثّر لا شكّ في اتّجاهاتها المستقبلية.
- التّخطيط لإقامة "ملاذات آمنة" في مناطق محدّدة من سورية^(٢١٥)، لتفادي تدفّق أعداد كبيرة من اللاجئين في حال تطوّرت الأمور ووصلت إلى الفوضى أو الحرب الأهليّة.
- يتوقّف هذا السيناريو على ما يمكن أن تقوم به تركيا، لأنّه لا فوضى من دون تدخّل خارجيّ، أو من دون تخطيط وترتيب من الخارج، ولا يكون ذلك خلاف رغبة تركيا أو من دون التنسيق معها.
- تتطلّب "الملاذات الآمنة" قراراً دولياً من مجلس الأمن أو قراراً من حلف الناتو، وسيكون مقدّمة لدخول سورية في مرحلة السيناريو الليبي: منطقة حظر، وأعمال عسكريّة وقائيّة، ثمّ أعمال عسكريّة من قبيل التدخّل الإنساني، إلخ.

ما هو السيناريو النّشط أو المرجّح؟

من طبيعة مواقف الأزمة أن تكون جميع السيناريوهات متداخلة، وتنتقل من مبادئ أو قواعد متقاربة جدّاً، وهذا يساعد نظريّاً في تعيين "الحدود الدّنيا والحدود العليا" للأزمة، ولكنّه يجعل الأمر معقّداً في الواقع. ويبدو أنّ تركيا تعمل على جميع الاحتمالات، ليس من أجل إحداثها في الواقع، وإنّما من أجل "المفاضلة" المستمرة بينها و"التمكّن" منها وجعلها قابلة لأن تكون "حيثيّة عملية"، فقد لا تكون الفوضى هي المسار المطلوب تركيّاً، ولكن يجب أن تكون مسارا محتملا أو قابلا لـ "التخليق"، أي أنّ المطلوب ليس تفكيك سورية، وإنّما جعلها قاب قوسين أو أدنى من ذلك، وهذا أمر بالغ الحساسيّة والخطورة، لكن الأتراك يشعرون أنّ الأوضاع تساعدهم في "التحكّم" فيه.

^{٢١٥} - انظر مثلاً:

Soner Cagaptay, "A Turkish Buffer Zone Inside Syria?", *Hurriyet Daily news*, 3-7-2011.

كما أنّ "وتيرة التّصاعد في نبرة كلّ من رجب طيّب أردوغان وعبد الله غُول توحى بأنّ أنقرة قد لا تبقى مكتوفة اليدين. وربما كان لتدخّل تركيّ في سورّيّة، أو إنشاء منطقة عازلة ينكر الأتراك النّيّة لإقامتها، أن يمهدّ لعملٍ أوسع يتولّاه الناتو، وتركيا عضو فيه، بمجرد أن تستقرّ الأوضاع، ولو نسبياً، في كلّ من ليبيا واليمن"^(٢١٦).

وتعتبر عودة الدّفء إلى العلاقات بين تركيا وإسرائيل مدخلا هاماً لرسم ملامح المرحلة المقبلة، لأنّ تفاهم تركيا وإسرائيل على مسارات محدّدة للأزمة في سورّيّة، هو ممّا يساعد تركيا في تجاوز تحفّظات دولية وإقليمية - قائمة أو محتملة - بشأن شكل نظام الحكم المقبل في سورّيّة، فيما لو تطوّرت الأمور نحو المسار الليبي المذكور. وثمة مؤشّرات على ذلك، من قبيل ظهور علي البيانوني (وقبله عبد الحليم خدام) على التلفزيون الإسرائيلي، وظهور مؤشّرات لدى حركة حماس لإمكان تحقيق اعتراف أو تفاهم مع إسرائيل بوساطة تركيّة، وقد قال أردوغان لباراك أوباما إنّّه "يمون" على خالد مشعل^(٢١٧)! كما قال ملهم الدوري مسؤول العلاقات الخارجية في "الإخوان المسلمين" في تعليقه على مؤتمر دعم المعارضة في سورّيّة، الذي نظّمه في باريس "برنار هنري ليفي" المؤيّد لإسرائيل، إنّّه لا خطوط حمراء لدى "الإخوان" في مشروعهم لإسقاط نظام الرّئيس بشّار الأسد، وقال "تشارك في جميع الأنشطة والندوات المؤيّدّة للشّعب السوريّ، بغضّ النظر عمّن يقوم بها أو ينظّمها"^(٢١٨).

وقد اتّفق الرّئيس الأميركيّ باراك أوباما ورئيس الحكومة التركيّة رجب طيب أردوغان، على مواصلة الضّغوط السياسية والاقتصادية والعسكرية على سورّيّة^(٢١٩). وذكر أوباما لأردوغان أنّ الاستخبارات الأميركيّة ترجّح سقوط نظام الرّئيس بشّار الأسد خلال أربعة إلى ستّة أشهر. ولكن ذلك مرهون بكيفية ما باستمرار الضّغوط على النظام في سورّيّة، وليس احتمالاً ناتجاً عن التطوّرات الداخليّة فقط. ويتعلّق الأمر أيضاً بمواصلة الجهود التركيّة والأميريكيّة والأوروبية وغيرها لمساعدة المعارضة السورية في الخارج (والدّاخل) على تشكيل بنى تنظيمية سياسيّة وإعلامية (وربما عسكرية) تكون قادرة على أن تكون بديلاً محتملاً لتولّي إدارة البلاد ومنع تحوّلها إلى "دولة فاشلة"، أو إسقاط نظام الرّئيس بشّار الأسد.

^{٢١٦} - حازم صاغية، "أين تكمن المؤامرة؟"، الحياة، ١٤-٦-٢٠١١.

^{٢١٧} - القيس، الكويت، ٢٦-٦-٢٠١١.

^{٢١٨} - السفير، ٦-٧-٢٠١١.

^{٢١٩} - القيس، ٢٦-٦-٢٠١١.

ثامنا - استخلاصات واستنتاجات

قال رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان في خطابه الأول بعد انتخابات ١٢ حزيران / يونيو ٢٠١١ إنّ فوزه الانتخابي هو انتصار في "أنقرة ودمشق، وفي أزمير وبيروت؟". ومن إسطنبول أعلن المراقب العامّ للإخوان المسلمين السوريين رياض الشقفة معركته لإسقاط النظام في سورية. وقال الشقفة "إننا ممتتون لمواقف الأستاذ رجب طيب أردوغان". السؤال المطروح الآن هو: هل وصل الأتراك إلى مرحلة العمل على إسقاط نظام الرئيس بشار الأسد؟

عناصر المشهد ليست واضحة، والصورة غير مكتملة، وثمة قدر كبير من "الغموض" و"عدم اليقين"، وربما يتطلب الأمر معرفة ما يجري خلف الكواليس بين الطرفين، وهذا غير ممكن، كما لا يمكن التنبؤ به، ولكن الخشية هو أن تحدث مرة أخرى رهانات جديدة غير واقعية أو غير محسوبة جيدا. وثمة في سورية من لا يزال يأمل بأن تحمل المرحلة المقبلة فرصة جديدة، فيما تتزايد المؤشرات عن مسار القطيعة بين الطرفين، وأن كلام أردوغان عن تحديد مهل وتوجيه إنذارات وتوزيع كتيبات وتعليمات؛ والمطالبة بتغيير قيادات أمنية وعسكرية؛ مثل تنحية العميد ماهر الأسد؛ إلخ؛ يعني تجاوز كل شيء في العلاقة مع النظام السياسي ومع الرئيس بشار الأسد شخصيا.

هل يتجاوز النظام السياسي في سورية "صدمة" الموقف التركي؟

يبدو أن ما أعطي لتركيا بـ"بساطة" وقناعة لن يُسترجع هكذا ببساطة. ولدى تركيا تاريخ طويل ومُعَدّ من المراهنات والمساومات، وكان بالإمكان التعاطي معه، ولكن المشكلة أن النظام السياسي في سورية أعطى تركيا كلّ شيء ممكن في السياسة، ولم يبق أوراق ضغط أو مساومة أو خيوط ارتباط احترازية لحالات الأزمة والضرورة كما في السياسات والإستراتيجيات العليا.

وقد أبقت تركيا على علاقات وثيقة مع الناتو وأوروبا والولايات المتحدة، وإسرائيل والدول العربية، وحتى المعارضة السورية، فيما تخلّت سورية عن أهمّ أوراق التأثير الممكنة على تركيا، وهي: الأكراد؛ والمياه؛ والحدود؛ والعرب في تركيا؛ إلخ؛ بل إنّ علاقتها مع "أكرادها" توتّرت هي الأخرى، ومثلها علاقتها بأكراد العراق. وينسحب ذلك على "إهمال" أو "توهين" علاقاتها مع اليونان وقبرص وأرمينيا وبلغاريا وحتى روسيا!

ويمكن تركيز الاستخلاصات الرئيسية عن العلاقات السوريّة - التركيّة، تحولاتها ورهاناتها الكليّة، وليس فقط ما يتعلّق بالأزمة السوريّة الراهنة، في النقاط التالية:

- إنّ معنى التحوّل والرّهان، بالنسبة إلى سورية وتركيا، يزداد تعقيدًا، بسبب المساحة الكبيرة نسبيًا لما "لا يمكن توقّعه" في السياسة الإقليمية والدولية، كما بالنسبة إلى الغموض الكامن في دينامياتها وكيفياتها السياسيّة والاجتماعية والدولية.

- تشهد السياسات الإقليمية تحولات ورهانات مستمرة، تعزّزها ديناميات تعمل على مختلف المستويات. وقد تكون ديناميات التغلغل أو الاختراق من العوامل النشطة والمؤثّرة في رسم السياسات الإقليمية^(٢٠)، أو على الأقلّ التدخّل في مسارها وتطوّرها. وإنّ أخذ ذلك في الاعتبار قد يساعد في تفسير التحوّلات المفاجئة أو غير المحسوبة أو الارتكاسية في العلاقات السوريّة - التركيّة، وقد تكون التّجاذبات بشأن الأزمة السوريّة الرّهانة واحدةً منها، ولعلّها أهمّها، في المرحلة الراهنة.

- تتعلّق التطوّرات والتطوّرات المعكوسة، أو الرّهانات والرهانات المعكوسة، في العلاقات السوريّة - التركيّة بـ "إرادة قصديّة" لدى المستوى الأعلى في صنع القرار، ودرجات متفاوتة من "الشخصنة" في السياسة. وهذا "يفسّر" تحوّل المواقف بكيفية لا يمكن تفسيرها بالسياسة وحدها، وأحيانًا ما يجد المتلقّي نفسه أمام خيارين طريفيين، أولهما أن يستعين - من باب الفضول، أو ربّما الإحباط - بـ"قراءة الفنجان"، للمساعدة في تفسير ما يحدث؛ وثانيهما أن يستعين - من باب الاستسهال والكسل - بـ"نظريّة المؤامرة"، للمساعدة في استجلاء الأمور، وهذان خياران حاضران بقوة في البيئة الثقافية للمنطقة، بل هما أحد مصادر "المعرفة" فيها.

- يبدو أنّ الطرفين اهتمّا خلال العقد الماضي بإبراز جوانب التعاون والتنسيق، وتحديثًا كثيرًا عن أنّ علاقاتهما أصبحت "نموذجًا" للعلاقات بين الدول، ولكنهما "أغفلا" - عن رهان قصديّ أو سوء تدبير أو "سوء طويّة"، إلخ - العوامل والفاعلات الخلافيّة القارّة في العلاقات البينيّة، ربّما لأنهما أدركا أنّ "الحفر" في طبقات التاريخ والأزمات العميقة يتطلّب عملاً شاقًا ونفسًا مديدًا. ومن القضايا الخلافيّة

٢٢٠ - يتطلّب ذلك النظر في تأثير أطراف مثل الولايات المتحدة في تطورات أزمة تشرين الأول / أكتوبر ١٩٩٨، تصعيدًا وتهديّة، وهو ما يمكن أن ينسحب على مجمل التحوّلات والرهانات القائمة والمحتملة بين سورية وتركيا. انظر مثلاً: محفوض، سورية وتركيا، ص ٤٥٩.

ما هو "مستحيل الحلّ" أو "التجاوز" في الأوضاع الراهنة، ومن ثمّ فإنّ على إدارة العلاقات بذل جهود كبيرة من أجل "الحجر" على عدد منها وربما "تأجيلها" أو "السكوت عنها" إلى أجل غير مسمى، طالما أنّ ذلك مفيد أو مناسب لهذا الطرف أو ذاك، وإلا فإنّ من السهل أن تتغيّر الأمور أو الرهانات، والإعلان عنها بكيفية مفاجئة، كما يحدث بين سورية وتركيا اليوم، ويصبح كل ما جرى جزءاً من الماضي، أو عتبةً لتحوّلات ورهانات أخرى.

- يبدو أنّ سورية وتركيا اجتهدتا في بناء تحالفهما خلال العقد الماضي، ولكن الأمور تتّجه بهما اليوم للعمل على تقويضه، كأنّما تتشبهان بقريش قبل الإسلام، ومنها من كان "يعبد" أصناماً يُشكّلها من التّمر، ولكنه ما أن يُنهي "صلاته" لها، حتّى يأكلها، ومن ثمّ فإنّ ما يحصل بين سورية وتركيا اليوم، ليس فقط "تقويضاً" أو "أكلاً" أو "تفكيكاً" لتحالفهما السّابق انطلاقاً من وقائع ميدانية وعيان فقط، وإنّما أيضاً - وهذا هو العامل المرجّح لدينا - قيام تركيا بإعادة هيكلة وتوجيه أولويّاتها وسياساتها انطلاقاً من رهانات نشطة لدى صانع القرار، بكلّ ما يقتضيه ذلك من استعدادات وقابليّات للتراجع والالتفاف على ما جرى لصالح رهانات جديدة. ولا بدّ أن تقوم سورية، كردّ فعل أو كتحصيل حاصل، بعمل مماثل، وهذا يعني أنّ العلاقات السورية - التركية تقف أمام "نقطة تحوّل" حرجة و"رهانات تاريخية" نشطة، ربّما تتجاوز كثيراً ما كان في أزمة تشرين الأوّل / أكتوبر ١٩٩٨.

خاتمة

انخرطت سورية وتركيا خلال عدّة سنوات في "تعظيم" أو "تضخيم" متزايد للناتج المتوقّعة من عوامل أو سياسات التقارب بينهما، مقابل "حجر" متزايد على عوامل أو سياسات التنافر أو "تجاهل" لها، وذلك من خلال إجراءات عمليّة وميدانيّة، وبلاغات سياسيّة انسحبت على المخيال الاجتماعي والسياسي (أو انسجمت معه). وقد أمكنهما خلال ذلك "تغطية" الكثير ممّا كان عليهما بالأساس أن "تعيّياه" و"تفكّكاه" معاً من أجل بناء علاقات قابلة للاستمرار، أو من أجل احتواء التحدّيات القائمة والمحتملة، والتي يمكن أن تقفز بوجه علاقاتهما، كما يحدث بصدد الأزمة السوريّة الراهنة.

وتمثّل "نقطة التحوّل" و"الرهانات التاريخيّة" مسائل إشكاليّة، ولكنها تتيح لنا "تجاوز" إكراهات الواقع والذاكرة والتاريخ، وهي فرصة لقراءة المصالح، والدخول في رهانات متبادلة، وليس بالضرورة وجود تحوّل فعليّ في التواضع والطبقات العميقة للسياسة.

وقد أظهرت إرادة التقارب في العلاقات السوريّة - التركية قدرة فائقة على إنتاج أحداثها وتفاعلاتها بإيقاع متسارع نسبياً، و"تغطية" العلاقات بمظلة أيديولوجية واسعة (رسميّة، وشعبية). ويتعلق الأمر بأبعاد ثقافية وإدراكية "مؤدّجة"، أحيانا ما تجعل تلك العلاقات مُعلّقة بين زمنين، زمن الماضي ويمتدّ تأثيرها فيه بانتقائيّة حديثة وتأويل بمفعول رجعيّ؛ وزمن المستقبل الذي يعدّ رهانا تاريخياً وأملاً ممتدّاً بلا تحديد.

وينبغي في موجات أو طيّات التقارب (السابقة) والتنافر (الراهنة)، مواصلة العمل من أجل التمييز بين طيّتي أو لحظتي "التقارب" و"التنافر"، و"التورط المتبادل" في الظاهرة السوريّة - التركيّة من جهة، وبين عوامل نشوء كلّ منها ومسبباته من جهة أخرى، إذ ثمة فسحة بينهما لا يمكن تفسيرها إلا بوجود "رهانات" من نوع ما.

وقد بدأت الأمور تتغيّر عند اندلاع الأزمة السوريّة الراهنة، وهي "حدث مؤسس" آخر معكوس أو "نقطة تحوّل" أخرى معكوسة، أي تذهب بالعلاقات نحو التنافر وليس نحو التقارب، إلا أنّها - كسابقتها - ليست مكتملة الصّورة ولا تامّة المعنى، بل إنّها مشروطة بما اعتبرناه "رهانات تاريخيّة"، لأنّها بهذه الأخيرة فقط تُفصح عن كُليّتها وربّما وجودها ومعناها، وهنا تصبح كلّ واحدة منهما (نقطة تحوّل - رهان تاريخي) شرطاً وضمناً للأخرى.

المراجع:

باللغة العربية

الكتب والدراسات:

- بادي برتراند، وماري كلودسموتس، انقلاب العالم: سوسيولوجيا المسرح الدولي، ترجمة: سوزان خليل، ط ٢، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٦).
- لفريت فلاينت، وراثّة سورية: اختبار بشار بالنار، ترجمة: مركز المعطيات الإستراتيجية، ط ١، (دمشق: المركز، ٢٠٠٥).
- محفوظ عقيل سعيد، سورية وتركيا: الواقع الزاهن واحتمالات المستقبل، ط ١، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩).
- محفوظ عقيل سعيد، العلاقات السورية - التركية: التحولات والرهانات، ط ١، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١١).
- يسين السيد، الخريطة المعرفية للمجتمع العالمي، ط ١، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٨).

مؤتمرات:

- الحمش منير، "وجهة نظر عربيّة في واقع وأفاق العلاقات الاقتصادية العربية - التركية"، مؤتمر العرب وتركيا: تحديات الحاضر ورهانات المستقبل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ١٨-١٩ أيار / مايو ٢٠١١.
- عقيل سعيد محفوظ، "العرب في تركيا: محور تواصل أم تأزيم؟"، مؤتمر العرب وتركيا: تحديات الحاضر ورهانات المستقبل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ١٨-١٩ أيار / مايو ٢٠١١.

○ كلمات وخطب ومقابلات:

- حديث الرئيس بشار الأسد إلى قناة (TRT) التركية الرسمية الناطقة بالعربية يوم ٦/١٠/٢٠١٠.
- كلمة الرئيس بشار الأسد في حفل إفطار حزب العدالة والتنمية الذي أقيم في فندق واو بإسطنبول بتاريخ ١٧/٩/٢٠٠٩.
- حديث الرئيس بشار الأسد إلى التلفزيون السوري، بتاريخ ٢١-٨-٢٠١١.
- كلمة رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان في حفل إفطار حزب العدالة والتنمية الذي أقيم في فندق واو بإسطنبول بتاريخ ١٧/٩/٢٠٠٩.
- كلمة رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان في اجتماع الغرف التجارية والبورصات التركية، في أنقرة، بتاريخ: ١٦-٥-٢٠١١.
- كلمات وتصريحات رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان خلال الحملة الانتخابية لحزب العدالة والتنمية، يومي ٣١-٣-٢٠١١ و ١٤-٥-٢٠١١.

باللغات الأجنبية

Books

- Kurban Dilek & Yilmaz Ensaroglu, *Toward A Solution to the Kurdish Question: Constitutional and Legal Recommendations*, (Istanbul: TESEV Publications, September, 2010).
- Larrabee Stephen, *Troubled Partnership U.S.-Turkish Relations in an Era of Global Geopolitical Change*, (Santa Monica: Rand, 2010).
- Leverett Flynt, *Inheriting Syria: Bashar's Trial by Fire*, (Washington DC.: Brookings Institution, 2005).
- M.E. Volten Peter (editor), *Perceptions and Misperceptions in the EU and Turkey: Stumbling blocks on the road to accession*, (Groningen: The Centre of European Security Studies, 2009).
- Maddy-Weitzman Bruce and Asher Susser (Editors), *Turkish-Israeli Relations in a Trans - Atlantic Context: Wider Europe and the Greater Middle East*,

Conference Proceedings, (Tel Aviv: Tel Aviv University, the Moshe Dayan Center for Middle Eastern and African Studies, 2005).

- Nonneman Gerd (Edits.), *Analyzing Middle East Policies and the Relationship with Europe*, (New York: Routledge, 2005).
- Ucarlar Nesrin, *Between Majority Power and Minority Resistance: Kurdish Linguistic Rights in Turkey*, (Lund : Lund University, 2009).

Papers

- Robins Philip, "Between the EU and the Middle East: Turkish Foreign Policy under the AKP Government, 2002-2007", Working Papers, (Milano: Istituto per gli Studi di Politica Internazionale- ISPI, 2007), 23p. p.19-20.
- Van Bruinessen Martin, "Turkey's AKP government and its engagement with the Alevis and the Kurds", Paper presented at the symposium "The Otherness and Beyond: Dynamism between Group Formation and Identity in Modern Muslim Societies", Tokyo University of Foreign Studies, 5-6 December 2009

Periodicals

- Altunışık Meliha Benli , "The possibilities and limits of Turkey's soft power in the Middle East", *Insight Turkey*, Vol. 10, No. 2, (Ankara: April- June, 2008), pp. 50-53.
- Altunışık Meliha Benli, & Omer Ozelm Tur, "From Distant Neighbors to Partners? Changing Syrian–Turkish Relations", *Security Dialogue*, Vol. 37, No. 2, (SAGE Publications: 2006), pp. 229–248.
- Aras Bülent & Rabia Karakaya Polat, "From Conflict to Cooperation: Desecuritization of Turkey's Relations with Syria", *Security Dialogue*, Vol. 39, No. 5, (SAGE Publications: 2008), pp. 495–515.
- Aras Bülent, Turkey between Syria and Israel: Turkey's Rising Soft Power, *Seta Policy Brief*, No. 15, (Ankara: May 2008), 6p.
- Bacik Gökhan, "Turkish-Israeli Relations after Davos: A View from Turkey", *Insight Turkey*, Vol. 11, No. 2, (Ankara: 2009), pp. 31-41.
- Hale William, "Turkey and the Middle East in the "New Era"", *Insight Turkey*, Vol. 11, No. 3, (Ankara: 2009), pp. 143-159.
- Hinnebusch Raymond, "Globalization and Generational Change: Syrian Foreign Policy between Regional Conflict and European Partnership", *The*

Review of International Affairs, Vol.3, No.2, (Taylor & Francis Ltd: Winter 2003), pp.190 – 208.

- Kramer Heinz, "Turkey and the EU: The EU's Perspective", *Insight Turkey*, Vol. 8, No. 4, (Ankara: October and December 2006), pp. 24-32.
- Raptopoulos Nikolaos, "Rediscovering its Arab neighbours? The AKP imprint on Turkish Foreign Policy in the Middle East", *Les Cahiers du RMES*, No. 1, (Juillet 2004), pp.1-13.
- Sever Ayşegül, "Turkey and the Syrian-Israeli Peace Talks in the 1990s", *Middle East Review of International Affairs*, Vol. 5, No. 3, (September 2001), pp. 87 – 99.

Reports

- Akgün Mensur, (& Others), "The Perception of Turkey in Middle East", (Istanbul: TESEV-Turkish Economic and Social Studies Foundation, Foreign Policy Program, September, 2009), 36p.
- Altunışık Meliha Benli, "Turkey: Arab Perspectives", No. 11, TESEV-Turkish Economic and Social Studies Foundation: Foreign Policy Program, (Istanbul: 2010), 32p.
- Küçükcan Talip, "Arab Image in Turkey", Seta Research Report, No. 1, (Ankara: June 2010), 40 p.
- Pew Global Attitudes Project, "PM Erdogan Gets High Marks for Foreign Policy, On Eve of Elections, a More Upbeat Mood in Turkey", (Pew Research Center, June 7, 2011).